كتاب

تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان

تأليف

مرعي الحنبلي المقدسي

المتوفى سنة ١٠٣٣هـ

تحقيق

د/ سليمان بن صالح الخزي

الأستاذ المساعد بكلية القرآن الكريم

بالجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويرى بمكتبة الخانجي

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١

التمهيد

سبب اختيار الكتاب :

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

فرغبة مني في مواصلة السير على درب العلم والمعرفة – كنت أقلب فهارس المكتبات التي تعني باحتفاظ الكنوز الثمينة من المخطوطات القيمة ، التي تركها لنا علماؤنا بغية الوصول إلى واحدة منها تستحق إخراجها من الظلام المتراكم إلى نور الشمس وضيائها – ليستفيد منها الناس . وأنا أولهم .

وبتوفيق من الله تعالى وعون منه ، وقع نظري على مجموع ، يحتوي على عديد من المؤلفات القيمة للشيخ الجليل : زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي . المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ ، وذلك في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة .

فتصفحت هذه المؤلفات ، ثم قرأتها قراءة إمعان ، مما جعلني وصلت إلى نتيجة ، أن هذه المؤلفات صالحة للتحقيق والنشر ، لأنها – مع صغر حجمها – تعالج موضوعات مهمة في التفسير والعقيدة .

ولعل المؤلف وضع في عين الاعتبار عند تأليفه لها ، الإفادة العامة ، فجعلها في رسائل صغيرة ، ليضمن وصولها إلى عدد كبير من الناس – لأن المؤلفات الكبيرة والضخمة لا يقدم على قراءتها والاستفادة منها إلّا كبار أصحاب العلم والمعرفة ، ومن يوجد لديه همة عالية

ومثابرة ، وأما الرسائل الصغار ، فلا يتردد كثير من الناس فى اقتنائها وقراءتها والاستفادة منها .

ومن هنا رأيت أن تحقق هذه المؤلفات وتنشر بين الناس ، ووقع اختياري علي هذه الرسالة . وهي :

« تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان »

وذلك في أول الأمر . آملا من الله تعالى أن تعقبها بقيتها في أقرب مدة وأيسرها .

الخطـــة :

والخطة التي سلكتها في تحقيق هذا الكتاب على النحو التالي :

قسمت عملي إلى ثلاثة أقسام . أولها : قسم الدراسة . والثاني : قسم تحقيق النص . والثالث : قسم الفهارس .

وجعلت القسم الأول في : تمهيد ومقدمة وثلاثة مباحث .

أما التمهيد – وهو الذي نحن فيه – ففي سبب اختيار الكتاب للتحقيق والخطة التي سلكتها فيه .

والمقدمة في : الميزان عند أهل السنة والجماعة ، وبينت فيها معنى الميزان لغة واصطلاحا ، واختلاف الناس فيه ، ومعتقد أهل السنة والجماعة نحوه ، بشيء من التفصيل ، وبعض ما يتعلق به من مباحث أخري .

وأما المبحث الأول ، فهو في ترجمة يسيرة للمؤلف ، علما بأنه قد

قام بدراسة ترجمته أكثر من واحد ، وأوفاها دراسة : جميل عبيد عبد المحسن القرارعة في رسالته التي حصل بها على شهادة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة في عام ١٤٠٠ – ١٤٠١ هـ . وعنوانها : « تحقيق أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات » لمرعي بن يوسف .

فاعتمدت على دراسته في ترجمة المؤلف ، علما بأن الكتاب – أي أقاويل الثقات – طبع أخيرا بتحقيق وتعليق شعيب الأرناؤوط ، وهو أيضا ترجم للمؤلف .

والمبحث الثاني في : دراسة الكتاب ووصف النسخ الخطية .

فبينت عند دراسة الكتاب اسمه ، وتوثيق نسبته إلى المؤلف ، ومنهجه فيه ، والمصادر التي استفاد منها ، وبعض الملاحظات التي ظهرت لي على الكتاب .

ووصفت النسختين الخطيتين اللتين اعتمدت عليهما .

والمبحث الثالث في : بيان المنهج الذي سلكته في تحقيق الكتاب .

وأما القسم الثاني فهو في : تحقيق النص ، وجعلته في أعلى الصفحة مع تعليقات موجزة في أسفل الصفحة .

والقسم الثالث في : الفهارس . فأعددت عدة فهارس تسهيلا للرجوع إلى الكتاب ، وتعميما لفائدته .

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعم به النفع ، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

المقدمـــة

الميزان عند أهل السنة والجماعة

الميزان لغة : مفعل من : وزن الشيء وزنا وزنة ، والوزن : ثقل شيء بشيء مثله ، كأوزان الدراهم .

يقال : وزن فلان الدراهم وزنا بالميزان ، وإذا كاله فقد وزنه أيضا .

ويقال : وزن الشيء إذا قدره ، ووزن ثمر النخل ، إذا خرصه .

هكذا ورد في بعض المعاجم [(١)] .

وقال الراغب : « الوزن : معرفة قدر الشيء » يقال : « وزنته وزنا وزنة ، والمتعارف فيه عند العامة ما يقدر بالقسطاس والقبان » [(٢)] .

والميزان : اسم للآلة التي يوزن بها الأشياء ، وإن العرب يسمون أيضا الأوزان التي يوزن بها الثمر وغيره : « المسوّاة من الحجارة والحديد الموازين » [(٣)] .

وأصل الميزان : موازن ، انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها ، وجمعه : « موازين » [(٤)] .

وقال ابن منظور : « وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه :

---

(١) انظر تهذيب اللغة (٢٥٦/١٣) ، ولسان العرب (٤٤٦/١٣ ، ٤٤٧) .

(٢) المفردات (ص ٨١٩) . ومن هذا يتبين أن المعروف في الوزن : ما يقدر بالقسطاس والمثاقيل ، ولكنه يستعمل أيضا في التقدير مطلقا ، وفي الكيل والخرص .

(٣) لسان العرب (٤٤٦/١٣) .

(٤) الصحاح (٢٢١٣/٦) .

موازين » قال الله تعالي : ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ [١] . يريد نضع الميزان القسط [٢] .

وأما الميزان في اصطلاح الشرع : فهو ما ينصبه الله تعالى يوم القيامة لوزن أعمال العباد ، إظهارا لكمال عدله . وقد ورد ذكر هذا الميزان في عديد من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية .

فمن الآيات . قوله تعالي : ﴿ والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه ، فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازنيه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ [٣] .

وقوله : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين ﴾ [٤]

وقوله : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ [٥] .

وقوله : ﴿ فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية ﴾ [٦] .

وأما الأحاديث النبوية فهي كثيرة جدا . منها الحديث المعروف بحديث البطاقة [٧] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) لسان العرب (٤٤٦/١٣) .

(٣) سورة الأعراف الآيتان ٨ ، ٩ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٥) سورة المؤمنون الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٦) سورة القارعة الآيات ٦ – ٩ .

(٧) ذكره مرعي بن يوسف في رسالته (ص ٦٠) . وانظر تخريجه هناك .

ومنها قوله ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » [١] .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه كان يجتني سواكا من الأراك ، وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه . فقال رسول الله – ﷺ –: « مم تضحكون ؟ . قالوا : « يا نبي الله من دقة ساقيه » . فقال : والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد » [٢] .

وقوله ﷺ : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السموات والأرض .... » [٣] .

وهناك أحاديث أخرى عديدة جمعها الآجري ، وابن كثير [٤] ، وقد تصل هذه الأحاديث مبلغ التواتر [٥] .

وبناء على هذه الآيات الصريحة ، والأحاديث الواضحة ، ذهب الجمهور من أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا ، إلى الإيمان بالميزان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٣٧/١٣ رقم ٧٥٦٣) .
ومسلم في صحيحه (٢٠٧٢/٤ رقم ٢٦٩٤) .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٠/١ ، ٤٢١) . وإسناده حسن كما قال الألباني في تعليقه على شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٤) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٣/١ رقم ٢٢٣) من أبي مالك الأشعري .

(٤) انظر الشريعة للآجري (ص ٣٨٢ – ٣٨٧) ، والنهاية (الفتن والملاحم) (٢٣/٢ – ٣٥) .

(٥) صرح السفاريني في لوامع الأنوار (١٨٥/٢) بأن أحاديث الميزان بلغت مبلغ التواتر ، وقال الألباني : « والأحاديث في ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة ، الصحيحة (جـ ١ ص ٥٣ رقم ١٣٥) .

الحقيقي ، وأن له كفتين [١] حسيتين ، ينصب يوم القيامة ويوزن به أعمال العباد ، فمن رجحت حسناته ، فمصيره إلى الجنة ، ومن رجحت سيئاته ، فمصيره إلى النار ، ومن تساوت حسناته وسيئاته ، تفضل الله عليه فأدخله الجنة ، هكذا ذكر أبو الحسن الأشعري [٢] .

وقال الطحاوي في عقيدته : « ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال ليوم القيامة و ... والصراط والميزان » [٣] .

وعقد الآجري في كتاب الشريعة كتابا ترجم له بقوله : « الإيمان بالميزان : إنه حق يوزن به الحسنات والسيئات » [٤] .

وذكر ابن بطة : « الإيمان بالميزان ضمن عقائد السلف » [٥] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – عندما سئل عن الميزان –: « هو ما يوزن به الأعمال ، وهو غير العدل ، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة ... » وذكر بعض الآيات السابقة [٦] .

وقال الإيجي من علماء الكلام : « إن جميع ما جاء به الشرع من الصراط والميزان والحساب ... حق ، والعمدة في إثباتها إمكانها في نفسها [٧] ، إذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته مع إخبار

---

(١) يذكر المفسرون وغيرهم أن له لسانا أيضا ، ولكنه لم يثبت – فيما صح – عن النبي – ﷺ – ، وإنما ورد في كلام بعض السلف ، كما سيأتي (ص ٥٢) .

(٢) مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٢) .

(٣) العقيدة الطحاوية (ص ٤٥٦) .

(٤) الشريعة (ص ٣٨٢) .

(٥) الشرح والإبانة (ص ٢٠٢) .

(٦) مجموع الفتاوى (٣٠٢/٤) .

(٧) هكذا قال . والأحسن – في نظري – أن يقال في مثل هذا : « العمدة في إثباتها : الكتاب والسنة الصحيحة مع إمكانها في نفسها .

الصادق عنها ، وأجمع عليه المسلمون قبل ظهور المخالف ونطق به الكتاب ... » [١] .

وتكثر نصوص العلماء من السلف والخلف فى التصريح بالإيمان بالميزان الحقيقي ، بحيث لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب العقيدة والتفسير ، حتى نقل بعضهم إجماع أهل السنة على ذلك ، فنقل الحافظ ابن حجر عن أبى إسحاق الزجاج ، أنه قال : « أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان [٢] وكفتان ، ويميل بالأعمال » [٣] .

وكذا ذكر السفاريني – فإنه قال –: « والحاصل أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ، ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ... » . ثم ذكر الآيات والأحاديث إلى أن قال : « ... فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقى ذو كفتين ولسان ، كما قال ابن عباس [٤] ، والحسن البصري ، وصرح بذلك علماؤنا والأشعرية ... وغيرهم ، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر ، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه » [٥] .

ولكن ورد عن بعض السلف ما يخالف هذا ، إذ روي عن مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والأعمش ، أن الميزان بمعنى العدل والقضاء [٦] .

---

(١) المواقف فى علم الكلام (ص ٣٨٥) .

(٢) تقدم أنه لم يرد ذكر اللسان فيما صح عن النبى ﷺ وإنما جاء فى كلام بعض السلف ، والأحسن فى مثل هذا ، التوقف عند نصوص الكتاب والسنة .

(٣) فتح البارى (٥٣٨/١٣) .

(٤) روايته عن ابن عباس غير صحيحة كما سيأتى (ص ٥٣) .

(٥) لوامع الأنوار (١٨٤/٢ ، ١٨٥) .

(٦) سيأتى تخريج قولهم (ص ٥١) . وانظر أيضا تفسير الرازى (١٧٦/٢٢) .

وروي ابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ [١] أنه قال : « إنما هو مثل ، كما يجوز وزن الأعمال كذلك يجوز الحط » [٢] .

وحكى القرطبي عن مجاهد أنه قال : « الميزان الحسنات والسيئات بأعيانها » ، وعنه أيضا ، وعن الضحاك والأعمش أنهم قالوا : « الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء ، وذكر الوزن ضرب مثل ، كما تقول : « هذا الكلام في وزن هذا ، وفي أوزانه : أي يعادله ويساويه ، وإن لم يكن هناك وزن ... » [٣] .

وعند ما حكى الرازي هذا القول عن المذكورين ، نسبه – أيضا – إلى كثير من المتأخرين . فقال : « وكثير من المتأخرين ذهبوا إلى هذا القول » [٤] .

وتمسك بهذا القول المعتزلة أيضا ، فقد عزا ذلك صاحب المواقف إلى المعتزلة جميعا ، حيث قال : « وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم » [٥] .

ويظهر أنهم مختلفون فيما بينهم في هذه المسألة ، وفيهم من لم يصرح بإنكاره للميزان ، وقد قال أبو الحسن الأشعري – عند ذكره لمن

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) تفسير الطبري (١٠/٣٣) .

(٣) تفسير القرطبي (٧/١٦٥) .

(٤) تفسير الرازي (١٤/٢٥) . لم يتضح لي مراده من قوله : « كثير من المتأخرين » .

(٥) المواقف (ص ٣٨٤) . ونقل القرطبي وغيره عن ابن خورك أنه عزا إنكار الميزان إلى المعتزلة مطلقا . انظر تفسير القرطبي (٧/١٦٥) .

أنكر الميزان -: « وقال أهل البدع بإبطال الميزان ، وقالوا : « موازين وليس بمعنى كفات وألسن ، ، ولكنها المجازاة ، يجازيهم الله بأعمالهم وزنا بوزن ، وأنكروا الميزان ... » إلى أن قال : « وقال قائلون بإثبات الميزان ، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين ، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى ، فكان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل الجنة ، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلا على أن الرجل من أهل النار » [١] .

ولعل القاضي عبد الجبار من الفريق الثاني من فريقي المعتزلة اللذين ذكرهما الأشعري . فإنه قال - عند قوله تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق ... ﴾ [٢] -: « وهذه الآية تدل على نصب الموازين في الحقيقة يوم القيامة ، لأنه تعالى ذكرها ، وذكر فيها الخفة والثقل ، وقد بينا أن وزن الأعمال مع أنها عرض - وهي متقضية - يستحيل ، فالمراد بذلك أنه تعالى يجعل فيها أمارة يتبين برجحان البعض أن المطيع من أهل الجنة فيعظم سروره » [٣] .

وذكر الألوسي هذا القول عن مجاهد وغيره . ثم قال : « وإليه ذهب المعتزلة ، إلّا أن منهم من جوّز الوزن بالمعنى المتعارف عقلا ، وإن لم يقض بثبوته ، كالعلاف ، وبشر بن المعتمر ، ومنهم من أحاله .... » [٤] .

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٢ ، ٤٧٣) .
(٢) سورة الأعراف الآية ٨ .
(٣) متشابه القرآن (١/٢٧٤) .
(٤) روح المعاني (٨/٨٣ ، ٨٤) .

وهذا الزمخشري الذي عهدنا مساندته لما يذهب إليه المعتزلة في كثير من الأحيان ، لم يصرح بإنكار الميزان ، وقد تعرض للمسألة مرتين ، واكتفى فيهما بذكر القولين ، وفي الأولى قدم القول الأول ، وفي المرة الثانية قدم القول الثاني ، وأجاب عما يرد على القول الأول مما يوحي أنه يميل إليه [١] .

وأما استدلالهم علي هذا القول – أي أن الميزان بمعنى العدل والقضاء – فذكروا أن حمل لفظ الوزن على هذا المعنى جائز في اللغة ، لأن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا ، فلم يبعد جعل الوزن كناية عن العدل ، ومما يقوي ذلك أن الرجل إذا لم يكن له قدر ولا قيمة عند غيره يقال : إن فلانا لا يقيم لفلان وزنا ، ويقال : « هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه : أي يعادله ويساويه ، مع أنه ليس هناك وزن في الحقيقة ، ذكره الرازي [٢] .

وأما المعتزلة فحملهم على إنكارهم للميزان الحقيقي ووزن أعمال العباد الحسنة منها والسيئة ، تشبثهم بالشبهة التي مفادها ، أن الأعمال أعراض ، وهي مما لا تبقى ولا يمكن إعادتها ، وعلى فرض بقائها ، أو إمكان إعادتها ، يمتنع وزنها إذ لا توصف بثقل ولا خفة ، ثم إن الوزن للعلم بمقدارها ، والتفاوت فيها ، والله تعالى عالم بذلك ، فلا فائدة فيه ، وما لا فائدة فيه ففعله قبيح ، والرب تعالى منزه عن فعل القبيح [٣] .

---

(١) انظر الكشاف (٥٣/٢ ، ٥٤ ، ١٣/٣) .

(٢) انظر تفسير الرازي (٢٥/١٤) .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين (ص ٤٧٢) ، والمواقف (ص ٣٨٤) ، وتفسير الرازي (٢٦/١٤) ، وتفسير القرطبي (١٦٥/٧) ، وروح المعاني (٨٤/٨) .

وهناك قول ثالث ذكره الأزهري نقلا عن الزجاج – وهو أن الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق [١] – لم أتمكن من معرفة القائل بذلك ، والمستند الذي اعتمد عليه في هذا القول .

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول ، الذى نطق به القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وصرح به الأئمة سلفا وخلفا – وقد أجاب أصحاب هذا القول ، عما تمسك به أصحاب القول الثاني ، فقال الزجاج – بعد أن ذكر الأقوال الثلاثة –: « هذا كله في باب اللغة ، والاحتجاج سائغ إلا أن الأولى من هذا أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح ، فإن جاء في الخبر أنه ميزان له كفتان من حيث ينقل أهل الثقة ، فينبغي أن يقبل ذلك » [٢] ذكره عنه الأزهري والقرطبي وغيرهما [٣] – وعلق القشيري علي الزجاج فقال –: « وقد أحسن فيما قال ، إذ لو حمل هذا فليحمل الصراط على الدين الحق ، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد ، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة ، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل ، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر ، وصارت هذه الظواهر نصوصا » . ذكره : القرطبي ، والشوكاني [٤] .

ونقل الألوسي عن الآمدي أنه اعترض على قولهم بأن الميزان

---

(١) تهذيب اللغة (١٣/٢٥٧) ، وانظر أيضا فتح القدير (٢/١٩٠) .

(٢) قلت : بل هو المتعين ، لا يسع المؤمن غيره .

(٣) انظر تهذيب اللغة (١٣/٢٥٧) ، وتفسير القرطبي (٧/١٦٥) ، وفتح القدير (٢/١٩٠) .

(٤) انظر المصدرين السابقين لهما ، وأيضا التذكرة (ص ٣٧٨) .

موصوف بالثقل والخفة ، والعدل والإنصاف لا يوصفان بذلك ، وفي الإخبار ماهو صريح في أن الميزان جسماني .... » [١] .

وذكر ابن كثير قول مجاهد ، والضحاك ، والأعمش نقلا عن القرطبي ، ثم قال : « لعل هؤلاء إنما فسروا هذا عند قوله : ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ، ولا تخسروا الميزان ﴾ [٢] . فالميزان في قوله : « ووضع الميزان » أي : العدل ، أمر الله تعالى عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم ، فأما الميزان المذكور في يوم القيامة فقد تواترت بذكره الأحاديث وهو ظاهر القرآن : ﴿ فمن ثقلت موازينه ... ومن خفت موازينه ﴾ . وهذا إنما يكون الشيء المحسوس [٣] .

وكذا ذكر أبو حيان أن الثقل والخفة من صفات الأجسام [٤] .

وأما شبهة المعتزلة فأجابوا عن استحالتهم لوزن الأعمال بأن الله تعالى يقلب الأعراض أجساما ، فيزنها ، أو أن الصحائف التي أُثبتت فيها الأعمال هي التي توزن ، ويحدث الله فيها ثقلا وخفة ، فبها تثقل الموازين وتخف [٥] .

---

(١) روح المعاني (٨/٨٤) .

(٢) سورة الرحمن الآيات ٧ – ٩ .

(٣) النهاية – الفتن والملاحم (٢/٣٥ ، ٣٦) . وهذا الكلام قد يكون له وجه ، لا سيما روى ابن جرير في تفسيره (٢٧/١١٨) ، من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿ ووضع الميزان ﴾ . قال : « العدل » ولكن يرفض ذلك ما روي عنه أنه وصف بعض الآيات التي ورد فيها ذكر ميزان القيامة بأن ذلك ضرب المثل . وقد تقدم (ص ١٠) .

ونقل القرطبي عنهم هذا القول ، فقال : « قال مجاهد ، والضحاك ، وقتادة : ذكر الميزان مثل ، وليس ثم ميزان ، وإنما هو العدل » . تفسير القرطبي (١١/٢٩٤) .

(٤) البحر المحيط (٤/٢٧٠) .

(٥) انظر زاد المسير (٣/١٧٠) ، وتفسير القرطبي (٧/١٦٥) ، والبحر المحيط (٤/٢٧٠) ، وفتح الباري (١٣/٥٣٩) .

وبكلا الأمرين وردت الأحاديث النبوية [١] ، ثم إن نصب الميزان يوم القيامة ، ووزن أعمال العباد من أمور الآخرة التي لا يمكن أن يدخلها القياس ، أو تقدر بأمور الدنيا .

وأما قولهم : « إن الله تعالى عالم بمقادير الأعمال ... » . فأجابوا عنه : « بأن وزن الأعمال لا يكون لأجل أن يعرف الله سبحانه وتعالى ، بل يكون لتعريف الخلائق ما لهم من حسنات أو سيئات ، وكذلك لتعريفهم بكمال عدل الله تعالى ، ونظير هذا أنه أثبت أعمال العباد في الكتب من غير جواز النسيان عليه ، ونظيره أيضا أنه يسألهم عن أعمالهم ، فيعترفون بها بألسنتهم ، وتشهد عليهم بها أيديهم وأرجلهم ، وتشهد عليهم الأنبياء والملائكة والأشهاد » [٢] .

وقد اشتد إنكار الشوكاني على أولئك الذين استبعدوا حمل الظواهر للآيات الواردة في الميزان على حقائقها . فقال : « وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه ، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية ، وليس في ذلك حجة على أحد ، فهذا إذا لم تقبله عقولهم ، فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل المظلم » . وقال من شاء كل ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم [٣] .

---

(١) سيأتي التفصيل في ذلك .

(٢) انظر زاد المسير (٣/١٧١) ، والبحر المحيط (٤/٢٧٠) ، والفتوحات الإلهية (٢/١٢٣) . وقد ذكر العلماء عدة حكم في نصب الميزان يوم القيامة . وسيأتي ذكرها .

(٣) فتح القدير (٢/١٩٠) .

صفة الميزان :

وقد أكثر المفسرون وغيرهم من إيراد الآثار والأخبار في وصف هذا الميزان وأصله وهيئته وأحواله ، حتى ذكروا له الخيط واللسان ، وأنه الجواهر أو الياقوت . وذكروا أيضا آثارا في تحديد الموضع الذى سينصب فيه ، وقد تعرض المؤلف - أيضا - بشيء من ذلك تحت عنوان : « عظمه » . وتحت عنوان : « صفته » . والحقيقة أن أغلب هذه المرويات موقوفة على الصحابة ، أو على من دونهم ، والكثير منها لا يصح إسناده إلى القائلين به ، وما صح منها لا يستبعد أن يكون مأخوذا من الأخبار الإسرائيلية . نعم هناك بعض الأحاديث وردت في بيان عظم الميزان ، منها ما رواه سلمان الفارسي - رضي الله تعالى عنه - مرفوعا وموقوفا ، أورده المؤلف وفيه : « لو وزن فيه السموات والأرض لوسعتهن » (١) .

ونظرا لعدم صحة أغلب ما ورد فيه . فقد نفى أبو حيان جميع الآثار الواردة فيه حيث قال : « وما ورد في هيئته وطوله وأحواله لم يصح إسناده » (٢) .

وفي هذا الإطلاق نظر ، لأن ما رواه سلمان الفارسي صحيح . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب » (٣) .

وقال الجمل : « وأما ماهية جرمه من أي الجواهر ؟ وأنه موجود الآن ، أو سيوجد فنمسك عن تعيينه » (٤) .

---

(١) انظر الحديث وتخريجه في (ص ٥٤)

(٢) البحر المحيط (٢٧٠/٤) .

(٣) مجموع الفتاوى (٣٠٢/٤) .

(٤) الفتوحات الإلهية (١٣١/٣) .

متي ينصب الميزان :

لم يرد في ذلك نص صريح ، وقد أشار العلماء إلى وقته باجتهاد منهم واستنباط ، فذكروا أنه ينصب بعد الحساب . ذكره القرطبي . فقال : قال العلماء : « إذ انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها ، فيكون الجزاء بحسبهما » [١] ونقله عنه الحافظ ابن كثير ، وشارح العقيدة الطحاوية [٢] .

اختلاف العلماء في الموزون :

« اختلف العلماء في تعيين الموزون على ثلاثة أقوال :

أحدهـــا :

أن الأعمال هي التي توزن [٣] . وقد وردت أحاديث عديدة تدل على ذلك منها ما تقدم : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض ... » [٤] .

---

(١) التذكرة (ص ٣٧٣) .

(٢) انظر النهاية – الفتن والملاحم (٢٢/٢) ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٢) ، وانظر أيضا الفتوحات الإلهية (١٣١/٣) .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره (١٤٩/٢) ، والرازي في تفسيره (٢٥/١٤) وغيرهما من المفسرين . وعزا بعضهم إلى ابن عباس .

(٤) تقدم في ص : ٨ .

وورد من حديث أبي الدرداء مرفوعا « ما من شيء في الميزان أثقل من خلق حسن »[(١)] .

ومن حديث جابر مرفوعا : « توضع الموازين يوم القيامة ، فتوزن الحسنات والسيئات ، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة ، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار ... »[(٢)] .

وذهب إلي اختياره الحافظ ابن حجر ، حيث صرح : « بأن الصحيح هو أن الأعمال توزن »[(٣)] .

ويبدو أن شيخ الإسلام ابن تيمية - أيضا - اختار هذا القول ، فإنه ذكر عدة أحاديث في الميزان . ثم قال : « وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات . وبالعكس ... »[(٤)] .

ثم إن الذين ذهبوا إلى القول بوزن الأعمال . ذكروا أن الله تعالى يقلبها أجساما وذواتا توضع في الميزان . فقال الحافظ : « والحق عند أهل السنة أن الأعمال حينئذ تجسد أو تجعل في أجسام ، فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة ، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة ، ثم توزن »[(٥)] .

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١٥٠/٥ رقم ٤٧٩٩) . وصححه ابن حبان كما ذكر ابن حجر في الفتح (٥٣٩/١٣) .
(٢) عزاه القرطبي في التذكرة (ص ٣٨٤) ، وابن حجر إلى خثيمة .
(٣) فتح الباري (٥٣٩/١٣) .
(٤) مجموع الفتاوى (٣٠٢/٤) ، وأيضا (١٤٥/٣) .
(٥) فتح الباري (٥٣٩/١٣) .

وذكر ابن كثير هذا القول وبعض الأحاديث الدالة عليه ، ومنها الحديث السابق : « والحمد لله تملأ الميزان » . ثم عقب عليه فقال : فقوله : « والحمد لله تملأ الميزان » . فيه دلالة على أن العمل نفسه – وإن كان عرضا – قد قام بالفاعل يحيله إليه يوم القيامة فيجعله ذاتا يوضع في الميزان [١] .

ومما يؤيد قولهم هذا ، حديث أبي أمامة الباهلي مرفوعا ، وفيه : « اقرأوا الزهراوين : البقرة ، وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ... الحديث » [٢] .

ولكن أنكر ذلك القرطبي . فإنه قال : ومن المتكلمين من يقول : « إن الله يقلب الأعراض أجساما فيزنها يوم القيامة » وهذا ليس بصحيح عندنا [٣] ، ولم يذكر السبب في عدم صحته .

والقول الثاني :

أن الصحائف التي فيها أعمال العباد توزن ، ويدل عليه حديث البطاقة . وذهب إليه جمهور من المفسرين .

كما ذكر السفاريني [٤] – واختاره ابن عبد البر والقرطبي [٥] –

---

(١) النهاية – الفتن والملاحم (٢٦/٢) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٥٥٣/١ رقم ٨٠٤) .

(٣) تفسير القرطبي (١٦٥/٧) .

(٤) لوامع الأنوار (١٨٧/٢) . وانظر أيضا : تفسير الرازي (٢٥/١٤) ، وزاد المسير (١٧٠/٣) ، والبحر المحيط (٢٧٠/٤) .

(٥) انظر التذكرة (ص ٣٧٧) ، وتفسير القرطبي (١٦٥/٧) .

ورجحه الطيبي ، كما نقل عنه ابن حجر ، وذكر عن ابن عمر أنه قال : « توزن صحائف الأعمال » [١] وصوبه المؤلف في هذا الكتاب وغيره [٢] . ووصفه السفاريني بأنه الحق [٣] .

والقول الثالـــث :

أن العامل نفسه يوزن . ذكره البغوي ، وابن كثير ، والجمل ... وغيرهم [٤] . وقيل : إن العبد مع عمله يوزن [٥] ، واحتج القائلون بأن العامل نفسه يوزن بما رواه أبو هريرة مرفوعا : « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » [٦] .

وجاء في رواية أخرى لهذا الحديث : « يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم ، فيوزن بحبة ، فلا يزنها » [٧] .

واحتجوا – أيضا – بما تقدم من حديث ابن مسعود . وقد قال فيه النبي – ﷺ – عن ساقيه : « والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد » [٨] .

---

(١) فتح الباري (٥٣٩/١٣) .

(٢) انظر بهجة الناظرين (ق ١٤٦٨ / ب) .

(٣) لوامع الأنوار (١٨٧/٢) .

(٤) انظر تفسير البغوي (١٤٩/٢) ، وتفسير ابن كثير (٢٠٢/٢) ، والفتوحات الإلهية (١٢٢/٢) .

(٥) ذكره المؤلف . كما سيأتي (ص ٥٨) .، والسفاريني في لوامع الأنوار (١٨٧/٢) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٢٦/٨ رقم ٤٧٢٩) ، ومسلم في صحيحه (٢١٤٧/٤ رقم ٢٧٨٥) .

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٥/١٦) .

(٨) تقدم ذكره ص ٨ .

وأما الذين قالوا : « إنه يوزن مع عمله » . فاحتجوا بما رواه الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة ، عن عمرو بن يحيى ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعا : « توضع الموازين يوم القيامة ، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ، فيوضع ما أحصي عليه ، فتمايل به الميزان . قال : فيبعث به إلى النار » قال : « فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول : لا تعجلوا ، لا تعجلوا ، فإنه قد بقي له ، فيؤتى ببطاقة فيها « لا إله إلّا الله » فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان » (١) .

وقال ابن كثير : « وهذا السياق فيه غرابة ، وفيه فائدة جليلة ، وهو أن العامل يوزن مع عمله » (٢) . وهذا الإسناد ضعيف . والعلة فيه ابن لهيعة ، وكان قد احترقت كتبه ، فاختلط (٣) .

وقد أنكر بعض المفسرين على القول بأن الأشخاص يوزنون .

فقال الجمل – بعد أن ذكر هذا القول – والحديث الذي احتجوا به : « هذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الأشخاص في الميزان ، لأن المراد بقوله : « لا يزن عند الله جناح بعوضة » مقداره وحرمته ، لا وزن جسده ولحمه » (٤) .

وقال الألوسي : « ولا أدري على هذا ما يوضع في الكفة الأخرى من الميزان ، إذا وضع المذنب في إحداهما ، ووضع شخص في مقابلة

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢/٢٢١ ، ٢٢٢) .
(٢) النهاية – الفتن والملاحم (٢/٢٤) .
(٣) انظر تقريب التهذيب (ص ١٨٦) .
(٤) الفتوحات الإلهية (٢/١٢٢) .

شخص لا أراه إلا كما ترى ، والخبر ليس نصا في الدعوى كما لا يخفى » [١] .

وأما ابن كثير . فلم ير فيه شيئا من ذلك ، بل ذهب إلى الجمع بين هذه الأقوال والنصوص الدالة عليها ، فإنه قال : « وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا ، فتارة توزن الأعمال ، وتارة توزن محالها ، وتارة يوزن فاعلها . والله أعلم » [٢] .

واستأنس في هذا الجمع بحديث عبد الله بن عمرو . وقال : « وهذه الرواية تجمع الأقوال كلها بتقدير صحتها . والله أعلم » [٣] .

ويبدو لي أن الأحسن في مثل هذا ، هو الجمع بين النصوص المختلفة والتوفيق بينها ، دون الرجوع إلى الترجيح ، ما دام السبيل إلى التوفيق ممكنا ، ولا سيما هناك رواية تؤيد هذا الجمع ، وهي مع ضعفها لا يوجد في إسنادها متهم أو وضّاع ، فلا بأس باستئناسها ، وأما كيفية ذلك فينبغي أن يوكل علمها إلى الله تعالى .

وقال شارح العقيدة الطحاوية – بعد أن ذكر هذه الأقوال والأحاديث الدالة عليها –: « فثبت وزن الأعمال ، والعامل ، وصحائف الأعمال ، وثبت أن الميزان له كفتان ، والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات ، فعلينا الإيمان بالغيب ، كما أخبرنا الصادق – ﷺ – من غير زيادة ولا نقصان » [٤] .

* * *

---

(١) روح المعاني (٨/٨٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٠٢) .

(٣) النهاية – الفتن والملاحم (٢/٢٩) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٢ – ٤٧٥) ، وهناك مباحث أخرى تتعلق بالميزان . منها : الحكمة في نصبه . وستأتي عند المؤلف في هذا الكتاب .

المبحث الأول
ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه :

هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد .

نسبته : الكرمي ، نسبة إلى طوركرم [١] ، المقدسي ، نسبة إلى بيت المقدس ، الأزهري ، نسبة إلى الجامع الأزهر ، الحنبلي ، نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

لقبه : زين الدين .

كنيته : لم تذكر .

ولادته : لم تشر المصادر إلى تاريخ ميلاده ، وكذلك لم تحدد عدد سني عمره حين وفاته ، إلّا أن جميل القرارعة رجح أنه ولد في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري ، لأنه يوجد فيمن تتلمذ عليه ، ابن أخيه أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر الكرمي ، الذي ولد سنة ألف من الهجرة ، ثم لحق بعمه إلي القاهرة ، مما يرجح أن الشيخ مرعي ولد قبل ابن أخيه هذا ، لأن الغالب أن يأخذ التلميذ عمن هو أكبر منه سنا [٢] .

---

(١) هي قرية في فلسطين ، تقع إلى شمال غرب نابلس ، بينها وبين البحر سهول خصبة . وهي تعرف اليوم عند أهل فلسطين بـ « طول كرم » ، انظر مقدمة شعيب الأرناؤوط على أقاويل الثقات (ص ٢٩) .

(٢) انظر رسالة القرارعة (ص ١) . وراجع أيضا خلاصة الأثر (٣٦٧/٤) .

دراستــــه :

كذلك لم تحدث المصادر شيئا مما يتعلق بصباه وبدراسته الأولية ، ولابد أن يكون قد قضى صباه في تلقي العلم والأخذ من مشايخ بلدته ، حتى صار أهلا لأن يخرج في رحلة لطلب العلم وزيادة الثقافة .

رحلاتــــه :

حينما أكمل المؤلف - رحمه الله - دراسته في بلدته طوركرم ، خرج منها لتلقي العلوم والمعارف من مشايخ آخرين ، فارتحل إلى بيت المقدس ، ومنها إلى مصر ، حيث توطن فيها ، وأخذ على كثير من مشايخها ، وقد كان الأزهر - منذ زمن غير يسير - أكبر ملتقى للعلماء والمشايخ ، مما جعله أن آثر البقاء فيها ينهل من مناهلهم ، ويستقي من علومهم ، وبقي فيها إلى أن توفي ، وألف أكثر مؤلفاته فيها ، وبالذات في الجامع الأزهر ، كما نص على ذلك في كثير منها (١) .

شيوخــــه :

أخذ المصنف عن كثير من مشايخ عصره في فلسطين ومصر .

ففي القدس : أخذ الفقه عن الشيخ محمد المرداوي ، وعن القاضي يحيى بن موسى الحجاوي .

وفي مصر : أخذ الحديث والتفسير عن محمد بن عبد الله

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد : السوابق ١٩٧ .
وانظر أيضا مقدمة الأرناؤوط (ص ٢٩) .

القلقشندي المعروف بمحمد حجازي الواعظ ، والمحقق أحمد بن محمد الغنيمي ، وكثير من المشايخ المصريين [١] .

عقيدته ومذهبه :

قال شعيب الأرناؤوط : « وكان الشيخ في الاعتقاد والأصول على مذهب السلف الصالح – رضوان الله عليهم – من التسليم المطلق للنصوص ، وعدم تأويلها وصرفها عن ظاهرها . كما يظهر جليا في كتابه الذي بين يديك » – أي : أقاويل الثقات [٢] .

وكذا توصل إليه جميل القرارعة في دراسته عن المؤلف [٣] ، إلّا أنه يستحسن في بعض الأحيان قول المؤولة في بعض الصفات ، ويجعل أحيانا رأي السلف أن الظاهر غير مراد ، وأنهم كانوا يفوِّضون علم المعنى المراد إلى الله تعالى [٤] .

ويبدو لي – والله أعلم – أن المؤلف كثير النقل عن السابقين من أمثال الرازي ، والنووي ، والسيوطي ... وغيرهم . فلعله تطرأ عليه هيبتهم العلمية في بعض المرات .

وأما مذهبه في الفروع ، فكان حنبليا ، ونقل الزركلي عن عبد الله البسام : « أنه كان مقلدا متقيدا ، لا يخرج عن المذهب الحنبلي قيد

---

(١) انظر النعت الأكمل (ص ١٩١) .
ومقدمة الأرناؤوط (ص ٢٩) ، ورسالة القرارعة (٢ – ٩) .
(٢) مقدمة الأرناؤوط (ص ٣٠) .
(٣) انظر رسالته (ص ١٠) .
(٤) انظر المرجع السابق (ص ٣٦ ، ٣٩) .

شعرة واحدة » [١] . وله مقام في المذهب ، حيث يعد من أكبر علماء الحنابلة في زمنه ، وله مؤلفات في الفقه الحنبلي ، لاقت القبول والاستحسان من قبل علماء المذهب في عصره وبعده ، وسارت بتآليفه الركبان ، منها كتابه : « دليل الطالب » ، وكتابه : « غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى » . وهما من المراجع المعتمدة والمتداولة في المذهب ، بحيث اعتنى بهما الحنابلة عناية كبيرة ، وكتب عليهما كثير من الشروح والحواشي ، فمن شروح دليل الطالب شرح منار السبيل للضويان ، ومن حواشيه حاشية أحمد عوض المرداوي ، ومن شروح الثاني : « مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى لمصطفى السيوطي » .

ومما يدل على شدة تعلق المؤلف بالمذهب الحنبلي . قوله :

« لئن قلد الناس الأئمة إنني لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغب
أقلد فتواه وأعشق قوله وللناس فيما يعشقون مذاهب [٢] »

وقال فيه المحبي : « أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر » [٣] .

وكذا قال فيه ابن حميد ... وغيره [٤] .

علمه وثقافته :

كان المؤلف – رحمه الله تعالى – من العلماء الذين لهم مشاركة

---

(١) الأعلام للزركلي (٧/٢٠٤/هامش) .
(٢) خلاصة الأثر (٤/٣٦٠) .
(٣) المصدر السابق (٤/٣٥٨) .
(٤) انظر السحب الوابلة (٣٠٤ / نقلا عن القرارعة) . وأيضا معجم المؤلفين (١٢/٢١٨) .

في أكثر من فن ، إذ برز في ميادين شتى من العلم والمعرفة . وقد وصفه المحبي بقوله : « كان إماما محدثا ، فقيها ذا اطلاع واسع على نقول الفقه ، ودقائق الحديث ، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة » (١) . ونقله عن المحبي ، صاحب النعت الأكمل وأقره (٢) .

ووصفه الزركلي بقوله : « مؤرخ أديب من كبار الفقهاء » (٣) .

وقال رضا كحالة : « محدث فقيه ، مؤرخ أديب » (٤) .

وعندما ينظر المرء في قائمة مؤلفاته ، لا يسعه إلّا الاعتراف والتسليم له بمشاركته في فنون عديدة ، ففيها مايتعلق بالتفسير ، والحديث ، والفقه ، والأدب ، والإنشاء ... وغيرها من الفنون .

ولعل ابن حميد أنصف . إذ قال فيه : « العلامة ، البحر الفهامة ، المدقق المحقق ، المفسر المحدث ، الفقيه الأصولي النحوي ... » (٥) .

ثناء العلماء عليه :

وقد نعته صاحب كتاب : « النعت الأكمل » . فقال : « شيخ مشايخ الإسلام ، أوحد العلماء المحققين الأعلام ، وأحد عصره وأوانه ، ووحيد دهره وزمانه ، صاحب التآليف العديدة ، والفوائد الفريدة ، والتحريرات المفيدة ، خاتمة أعيان العلماء المتأخرين ... » . ثم أطنب في

---

(١) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤) .
(٢) النعت الأكمل (ص ١٩١) .
(٣) الأعلام (٢٣/٧) .
(٤) معجم المؤلفين (٢١٨/١٢) .
(٥) السحب الوابلة (٣٠٤) نقلا عن القرارعة .

الثناء ، وأطال في الإطراء ، وإسباغ الألقاب ، والأوصاف الحميدة عليه ، ومدحه بأبيات شعرية ، ومطلعها :

« حوى السبق في كل المعارف باله　　إمام همام حاز كلّ العوارف »[١]

وتقدم عن ابن حميد أنه وصفه بقوله : « العالم العلامة ، البحر الفهامة ، المدقق المحقق » .

وقال فيه ابن بشر : « الشيخ العالم ، العلامة ، كانت له اليد الطولى في الفقه وغيره » [٢] .

المناصب التي تولاها المؤلف :

كان المؤلف – رحمه الله تعالى – يتمتع برغبة صادقة في طلب العلم والمعرفة ، وهمة عالية ، وحافظة قوية ، مما جعله بعد انتهائه من الأخذ على المشايخ ، يقضي أيامه في التصنيف والتحقيق والإفتاء والتدريس ، وأتاح له ذلك أن يتولى بعض المناصب العلمية التي تليق بمكانته . منها :

١ – تصدره للتدريس في الجامع الأزهر (وكان مما تولى تدريسه : القرآن وتفسيره) [٣] .

٢ – قيامه بتدريس الفقه الحنبلي بجامع ابن طولون بالقاهرة [٤] .

---

(١) النعت الأكمل (ص ١٩٠) .
(٢) عنوان المجد : السوابق : ١٩٧ .
(٣) أضواء الشريعة (ص ١٩٤) . وأيضا النعت الأكمل (ص ١٩١) .
(٤) انظر عنوان المجد : السوابق ١٩٧ .

٣ – تولى مشيخة جامع السلطان حسن بالقاهرة . إلى أن أخذها عنه معاصره العلامة إبراهيم الميموني ، وكان قد وقع بينهما من المشاحنات ما يقع بين الأقران ، وكانت الغلبة للميموني ، فأخذ المشيخة من المؤلف [١] .

تلاميـــذه :

صرح شعيب الأرناؤوط في مقدمته : لأقاويل الثقات : « بأنه لم يقف فيما بين يديه من مصادر ترجمة المؤلف على ذكر لتلاميذه ، مع أنه كان متصدرا للتدريس » [٢] .

وكذا صرح جميل القرارعة بأن الذين ترجموا له لم يذكروا أسماء تلاميذه ، إلّا أنه استطاع – بعد البحث في تراجم معاصريه من علماء الحنابلة – العثور على شخصين قد نص في ترجمتهما أنهما أخذا على مرعي بن يوسف :

أحدهما : ابن أخيه : أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي .

والثاني : محمد بن موسى الحسيني الجمازي [٣] .

وليس من المعقول أن يكون هذان الشخصان فقط أخذا من المصنف ، وكان قد تصدر للتدريس في الجامع الأزهر ، وتولي مشيخة

---

(١) انظر النعت الأكمل (ص ١٩١) . ورسالة القرارعة (ص ١٢) .
(٢) (ص ٣١ هامش) .
(٣) انظر رسالته (ص ١٣) .

جامع السلطان حسن ، بل لابد أن يكون له تلاميذ كثيرون ، أخذوا عنه ، وانتفعوا به ، ولكن أغفلتهم كتب التراجم المعنية ، بسبب أو آخر . والله أعلم .

مؤلفاتـــه :

قال الغزي – صاحب النعت الأكمل –: « وكان – أي المؤلف – منهمكا على العلوم انهماكا كليا ، قطع زمانه بالإفتاء والتدريس ، والتحقيق والتصنيف » [١] . وكان من نتيجة هذا الانهماك أن ترك وراءه عددا كبيرا من المؤلفات في مختلف ميادين العلم والمعرفة ، فإنها تتناول الحديث ، والتفسير ، والتوحيد ، والفقه ، والفرائض ، والأصول ، والنحو ، والتاريخ ، والوعظ ، والأدب ، والإنشاء ، ... وغيرها . مما يدل دلالة واضحة على التنوع والثراء في ثقافة المصنف ، وعلى أنه كان صاحب نفس طويل في البحث ، وصاحب روح تتعشق العلم .

ومما يلاحظ في مؤلفاته أنها كتب لها القبول والاستحسان ، من قبل طلاب العلم ، بحيث إنها انتشرت انتشارا واسعا في أرجاء مختلفة من العالم ، فتوجد بعض هذه المؤلفات ، أو نسخ منها ، في مصر ، وبعضها في العراق ، وبعضها في الشام ، وبعضها في المغرب ، وبعضها في الهند ، وبعضها في الدول الغربية ، وقد أشار إلى هذا المحبي حين قال : « وقد سارت بتأليفه الركبان » [٢] . وتابعه على ذلك الغزي . وزاد عليه . فقال : « فسارت بتآليفه الركبان ، ومع كثرة أضداده وأعدائه ، ما أمكن أحد أن يطعن فيها ولا أن ينظر بعين الإزراء إليها » . ثم صرح بكثرة

---

(١) النعت الأكمل (ص ١٩١) .
(٢) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤) .

مؤلفاته وغزارتها [١] . وقد أوصل المحبي ما خلف المؤلف من ورائه من مؤلفات إلى سبعين كتابا [٢] ، وتابعه على ذلك صاحب السحب الوابلة [٣] ، على أنهما فاتهما عدد منها ، وقد ذكر شعيب الأرناؤوط قائمة مؤلفاته - المطبوعات منها على حدة ، والمخطوطات على حدة ، والتي لم يقف على نسخة منها على حدة - فوصلت المطبوعات إلى ستة كتب ، والمخطوطات إلى ٣٥ كتابا ، والتي لم يقف على نسخة منها إلى ٣٩ كتبا ، فصار المجموع : ٨٠ كتابا .

وأنا أكتفي بذكر المطبوعات ، وأحيل القارئ الذي يريد المزيد إلى مقدمة شعيب الأرناؤوط [٤] ورسالة جميل القرارعة » [٥] .

وأما التي تم طبعها من مؤلفات الشيخ مرعي . فهي :

١ - دليل الطالب لنيل المطالب ، اختصره من كتاب « منتهى الإرادات لتقي الدين بن النجار الحنبلي ، وعني به متأخروا الحنابلة عناية فائقة ، وطبع في دمشق ، المكتب الإسلامي سنة ١٩٦١ م . وله شروح وعليه حواشي كثيرة .

٢ - غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى . طبع في دمشق عام ١٩٥٩ م . في ثلاثة أجزاء .

---

(١) النعت الأكمل (ص ١٩١) .
(٢) خلاصة الأثر (٣٥٨/٤ - ٣٦٠) .
(٣) السحب الوابلة (٣٠٤ - ٣٠٧) . نقلا عن القرارعة .
(٤) ص : ٣٢ - ٤١ .
(٥) ص : ٢٦ - ٣٤ .

٣ – الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة . طبع بتحقيق محمد الصباغ في المكتب الإسلامي .

٤ – الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية . طبع بتحقيق : نجم عبد الرحمن خلف ، في مؤسسة الرسالة ودار الفرقان عام ١٩٨٤ م .

٥ – الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية . وهي في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية . جمعها من كتب مختلفة في مناقبه . طبع في مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

٦ – بديع الإنشاء والمراسلات . ويعرف بـ « إنشاء مرعي » . طبع عدة مرات .

وفاتـــــه :

توفي المؤلف – رحمه الله تعالى – بمصر في شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٣ من الهجرة النبوية .

* * *

المبحـــث الثانـــي
دراسة الكتاب والنسخ الخطيـــة

اسم الكتاب :

« تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان » .

هكذا ورد اسمه في الورقة الأولى في جميع النسخ للكتاب ، وبه صرح المؤلف في خطبة الكتاب ، وبهذا الاسم ذكره من ترجم له ، وذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته [١] .

توثيق نسبته إلى المؤلف :

هناك عدّة أمور تؤكد صحة نسبة الكتاب إلى المؤلف . منها : أنه ورد التصريح باسمه أثناء خطبة الكتاب . ومنها أن المؤلف أحال بعض القضايا في هذا الكتاب إلى بعض مؤلفاته الأخرى ، وعند الرجوع تتبين صحة هذه الإحالة .

ومن ذلك أنه تعرض في هذا الكتاب لذكر الأحاديث التي وردت في أناس يدخلون الجنة بغير حساب ، فذكر بعض الأحاديث . ثم قال : « إلي غير ذلك من الأحاديث التي ذكرتها في بهجة الناظرين وآيات المستدلين » [٢] .

---

(١) انظر علي سبيل المثال : « النعت الأكمل (ص ١٩٢) .

(٢) انظر ص : ٧٥ .

ويظهر عند الرجوع إلى هذا الكتاب أن المؤلف عقد فصلا وترجم له بقوله : « فصل فيمن يدخل الجنة بغير حساب » . وسرد تحت هذا الفصل عددا كبيرا من الأحاديث المتعلقة بمن يدخل الجنة بغير حساب [١] .

ومنها أيضا أن المؤلف تعرض في موسوعته الكبرى « بهجة الناظرين وآيات المستدلين » : لقضية الميزان ، ويوجد تشابه كبير بين أسلوبه في هذه الرسالة وبين أسلوبه فيما أودعه تحت هذه المسألة في الكتاب المذكور في إيراد المواد العلمية ، وسرد الأدلة ومناقشة الآراء ، بل يوجد أيضا في بعض الأحيان توافق بين العبارات ، ولا يعني هذا أن الرسالة التي نحن بصدد تحقيقها هي نفس ماأودعه المؤلف تحت فصل « الميزان في بهجة الناظرين » . بل العكس فإنها تأليف مستقل — كما يتضح ذلك مما جاء في بدايتها — ويوجد تباين واضح بين المنهجين اللذين اختارهما في كل منهما ، كما أنه تعرض في هذه الرسالة لما لم يتعرض له تحت فصل « الميزان في بهجة الناظرين » . وتعرض فيه لما لم يتعرض له في هذه الرسالة . ومن ذلك على سبيل المثال : أنه تعرض في الرسالة لتفسير بعض الآيات الواردة في الميزان تفسيرا شاملا ، وهذا لم يفعله في بهجة الناظرين . كما أنه تعرض في موسوعته المذكورة لذكر اختلاف العلماء في المسئول عنه ، ولم يتعرض له في هذه الرسالة [٢] .

منهج المؤلف في تأليف هذه الرسالة :

يبدو للناظر في هذه الرسالة من أول وهلة ، أن المؤلف نهج في

---

(١) انظر بهجة الناظرين (ق ١٥٥/ب) .
(٢) انظر بهجة الناظرين (ق ١٤٩/١) .

تأليفها منهج المفسرين ، فإنه أخذ آية من الآيات الواردة في الميزان ، ألا وهي : قوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفي بنا حاسبين ﴾ (١) .

وركز علي تفسير هذه الآية تفسيرا شاملا وموضوعيا (٢) ، واعتمد في ذلك على المفسرين اعتمادا كاملا ، وتعرض أثناء ذلك لمباحث تتعلق بالميزان . منها : « أنه ذكر اختلاف العلماء في إثبات المِيْزان ، وما ورد في عظمته وصفته وصاحبه من آثار ، ثم اختلاف العلماء في أن الميزان واحد أم متعدد ، واختلافهم في الموزون ، وكذلك اختلافهم في وزن أعمال الكافرين ، والحكمة في وزن الأعمال ، وهل الميزان في حق كل شخص واحد ؟ » .

هذا من ناحية المواد العلمية . وأما من ناحية الشكل وترتيب المواد العلمية ، فتراه أنه قسم الرسالة إلى خطبة . وصف فيها – بعد الحمدلة والصلاة والتسليم – الرسالة بأنها فرائد تسر المحبين ، وفوائد تسيء الحاسدين ، يطمئن بما فيها موافيها من المؤمنين ، تتعلق بالكلام علي قول رب العالمين ﴿ ونضع الموازين القسط ... الآية ﴾ . ثم ذكر تسمية الكتاب .

وإلى مقدمة وصفها بأنها في إعراب هذه الآية (٣) .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) وقد وصف هو بنفسه الرسالة بأنها تتعلق بالكلام علي قول رب العالمين : ﴿ ونضع الموازين القسط ... الآية ﴾ .

(٣) الواقع أنها ليست في إعراب الآية فقط . بل في إعرابها ، وبيان مفرداتها ، وتفسيرها تفسيرا كاملا .

وإلى خاتمة تكلم فيها على سرعة الحساب ، مع كثرة عدد الخلائق وكثرة أعمالهم .

وأثناء تفسيره للآية تعرض للمباحث المذكورة سابقا ، دون أن يعقد لها فصلا ، أو مبحثا ، أو يعطي لها عنوانا بارزا – ما عدا ثلاثة منها – فقد أعطى لها عنوانا . أولها : عظم الميزان . والثاني : صفة الميزان ، والثالث : صاحب الميزان . وأما البقية فلم يذكر لها عنوانا . وهذا يعني أن الكتاب يشتمل على خطبة ومقدمة وخاتمة .

مصادر المؤلف في الرسالة :

سبق البيان بأن المؤلف غلب عليه منهج المفسرين في تأليفه ، وبالفعل اعتمد كثيرا على المفسرين ، ولاسيما الفخر الرازي ، والثعلبي . كما أنه استمد أيضا مواده العلمية من ابن عطية – صاحب المحرر الوجيز – وأبي إسحاق الزجاج – صاحب معاني القرآن وإعرابه –، والزمخشري ... وغيرهم من المفسرين ، وهذا لا يعني أنه قصر اعتماده على كتب التفسير وأصحابها فقط ، بل اعتمد أيضا في تأليفه لهذه الرسالة على كتب الأمهات في السنة ، التي تعني برواية الأحاديث بالإسناد ، وعلى رأسها الصحيحان والسنن الأربعة ، والمستدرك ، والحاكم ، وصحيح ابن حبان ، وكتب البيهقي ، والدارقطني ، والطبراني ، وابن أبي الدنيا ... وغيرهم من المحدثين . وذلك لأن أحسن ما يفسر به كلام الله تعالى ، هو كلام الله تعالى نفسه . فإنه أعلم بمراده من غيره ، ثم كلام رسول الله – ﷺ – الذي نزل عليه ، وهو أعلم الخلق بمراد كلام الله تعالى .

ثم إن المؤلف استمد أيضا من الكتب المعنية بالموضوع . مثل : « التذكرة في أحوال الموتي وأمور الآخرة للقرطبي » ، و « الدرة الفاخرة في

كشف علوم الآخرة للغزالي » ، وعلى كتب علم الكلام . مثل : « بحر الكلام للنسفي » ، وكتب التصوف ، أو بعض المتصوفين .

ولم يكن اعتماد المؤلف في تآليفه على مجرد النقل فقط ، بل أظهر شخصيته في ترتيب المواد العلمية ومناقشة الأدلة ، وترجيح الآراء والتعقيب على السابقين .

أهمية الكتـاب :

تأتي أهمية الكتاب من جهة أنه منفرد في هذا الباب ، إذ لم أطلع - حسب علمي الناقص - على مؤلف صغير مثل هذا ، يشتمل على جل المباحث المتعلقة بالميزان ، إن لم نقل على كلها .

بعض الملاحظات على الكتاب :

رغم ما للكتاب من أهمية ، فإن لي بعض الملاحظات على المؤلف - مع اعترافي بقلة العلم - أولى هذه الملاحظات على تسمية الكتاب : « تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان » . فهذه التسمية أكبر من محتويات الكتاب ، لأن الكتاب يتعلق بالكلام على آية من الآيات الواردة في الميزان ، وقد صرح به المؤلف نفسه ، ومن المعلوم أن هذه الآية ليست وحدها تدل على إثبات الميزان ، والتسمية تقتضي إيراد جميع الأدلة من الكتاب والسنة ، أو أغلبها .

والملاحظة الثانية : أن المؤلف أورد من الأحاديث والآثار ما هو ضعيف أو باطل ، وسيتضح ذلك أثناء تخريج الأحاديث والكلام عليه .

والملاحظة الثالثة : أن المؤلف اعتمد على بعض الأخبار الإسرائيلية وكذلك على كلام بعض المتصوفين ، ونحن في غنى عنها .

والملاحظة الرابعة : أن المؤلف لم يراع الدقة والعناية الكاملة في تقسيم الكتاب ، حيث إنه قسمه إلى : مقدمة ، وخاتمة . دون تصريح بالأبواب أو الفصول . أو نحوهما .

دراسة النسخ الخطية :

توفرت لي نسختان من الكتاب . وهناك نسخة ثالثة ذكرها شعيب الأرناؤوط في مقدمته على كتاب أقاويل الثقات . وهي نسخة باريس (١) . ولم أتمكن من الحصول عليها .

وأما النسختان . فإحداهما محفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم ٨٠/٢٧ . ضمن مجموعة من كتب المؤلف ، وعدد أوراقها : ٢٤ ورقة ذات وجهين بحجم صغير ، تبدأ من ق ١٨ وتنتهي إلى ق ٤١ . وعدد الأسطر في كل ورقة ٩ أسطر . وعدد الكلمات : في كل سطر ما بين خمس وست كلمات . مقاسها : ٨×١٢ سم . وخطها : نسخي واضح جدا ومزخرف . تاريخ نسخها – وقد جاء في آخر النسخة –: « وكان الفراغ من كتابته نهار السبت المبارك في السادس والعشرين من شهر رجب المبارك سنة تسع وعشرين وألف .

وأثبت في آخرها – في الهامش –: « بلغ مقابلة بنفس مؤلفه ، ومر عليه مرور تصحيح » .

ولم يذكر اسم الناسخ ، ويبدو أنه كان من أهل العلم ، حيث علق على المؤلف في بعض الأماكن .

---

(١) ص ٣٩.

وأثبت في الورقة الأولى من هذه النسخة بعد اسم الكتاب : « أمر برقمه مصنفه الفقير إلى الله تعالى مرعي الحنبلي المقدسي برسم مولانا سليمان أغا » . ثم كلام مسجع في الدعاء له .

وقد اعتمدت على هذه النسخة في نسخ نصوص الكتاب . ورمزت لها بـ «م» .

وأما النسخة الثانية : فهى محفوظة بمكتبة خدابخش بتنبه بالهند تحت رقم (٤٢٨/٢) . وهي أيضا ضمن مجموعة من كتب المؤلف . عدد أوراقها : ٧ أوراق ذات وجهين بحجم كبير . تبدأ من ق ٨٢ وتنتهي إلى ق ٨٨ . وتوجد صورة منها في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية . عدد الأسطر : في كل ورقة ٢٣ سطر . عدد الكلمات : في كل سطر ما بين ٧ – ٩ كلمات . مقاسها : ١٢×٢٠ سم . خطها : نسخي دقيق . ورمزت لها بـ « ب » .

* * *

المبحـــث الثالـــث
منهجي في التحقيـــــق

وقد جعلت نسخة «م» نسخة الأم ، لأنها كتبت في عهد المؤلف ، وتمت مقابلتها عليه ، ومر عليها مرور تصحيح ، كما أثبت في آخرها .

فاعتمدت عليها في نسخة نصوص الكتاب ، ثم قابلتها على نسخة « ب » ، وأثبت الفروق بينهما في الهامش ، وحاولت إخراجها – بكل ما في وسعي – علي صورة صحيحة وقريبة مما وضع عليه المؤلف هذا الكتاب .

وعزوت الآيات القرآنية إلى سورها ورقمها .

وخرجت الأحاديث والآثار من المصادر المعتبرة ، وبينت درجتها – إن لم تكن من أحاديث الصحيحين – في ضوء أقوال العلماء .

وعزوت كل نص من النصوص الواردة في الكتاب إلى مصدره ، أن لم يصرح المؤلف بالمصدر ، وإذا صرح بالمصدر أحدد موضعه ببيان الصفحة والمجلد إذا كان له أكثر من مجلد ، بشرط أن يوجد ذلك المصدر وأهتدي إليه .

وترجمت للأعلام دون الصحابة ، ترجمة موجزة لا تتجاوز عن سطر أو سطرين .

وشرحت الكلمات الغريبة من كتب المعاجم المعتبرة ، وعلقت على المواضع التي تحتاج إلى تعليق من ترجيح أو تعقيب .

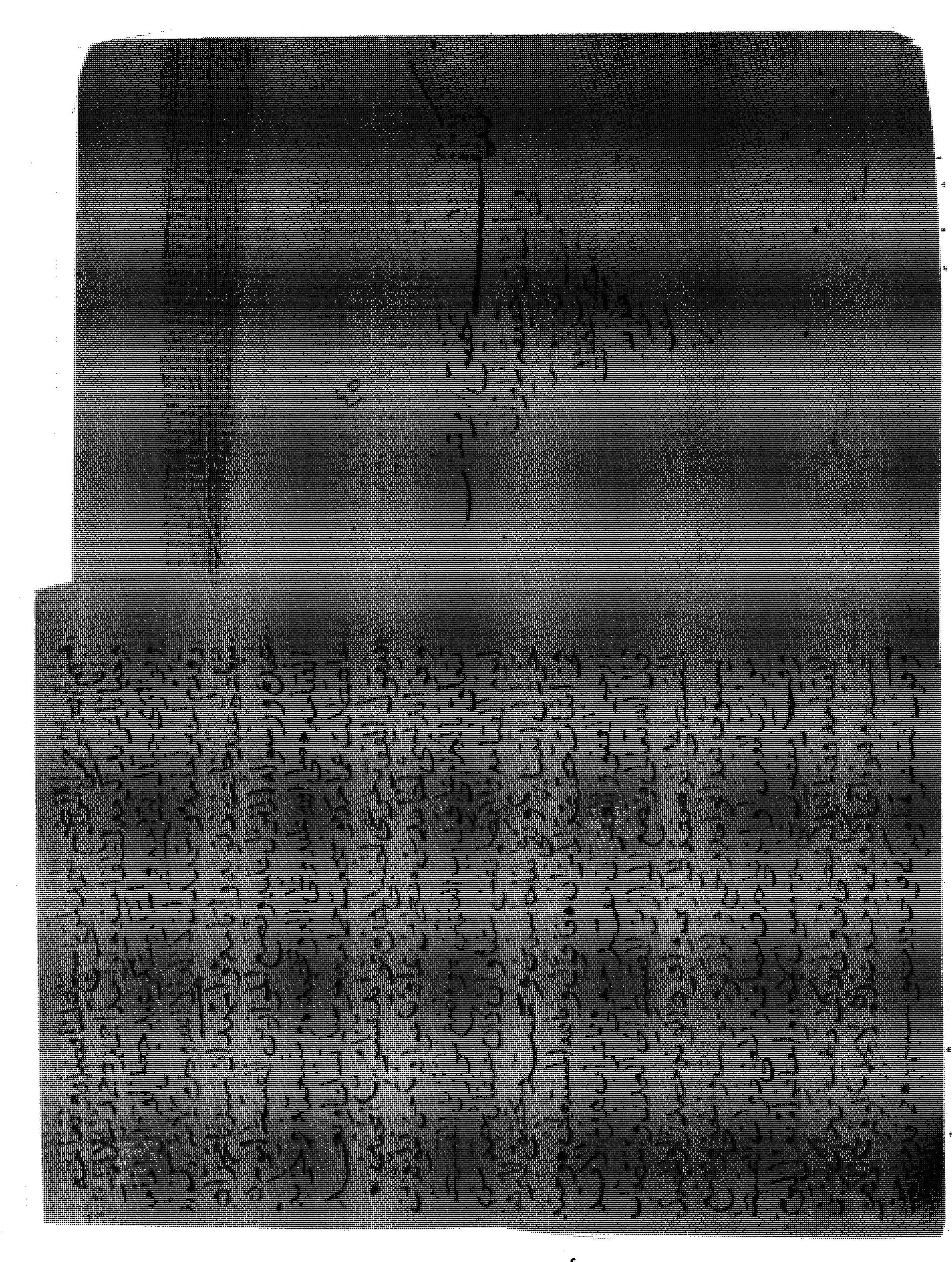
وجعلت للكتاب فهارس :

- فهرس للآيات
- فهرس للأحاديث .
- فهرس للآثار .
- فهرس للأعلام المترجم لهم .
- فهرس للمصادر والمراجع .
- فهرس للموضوعات .

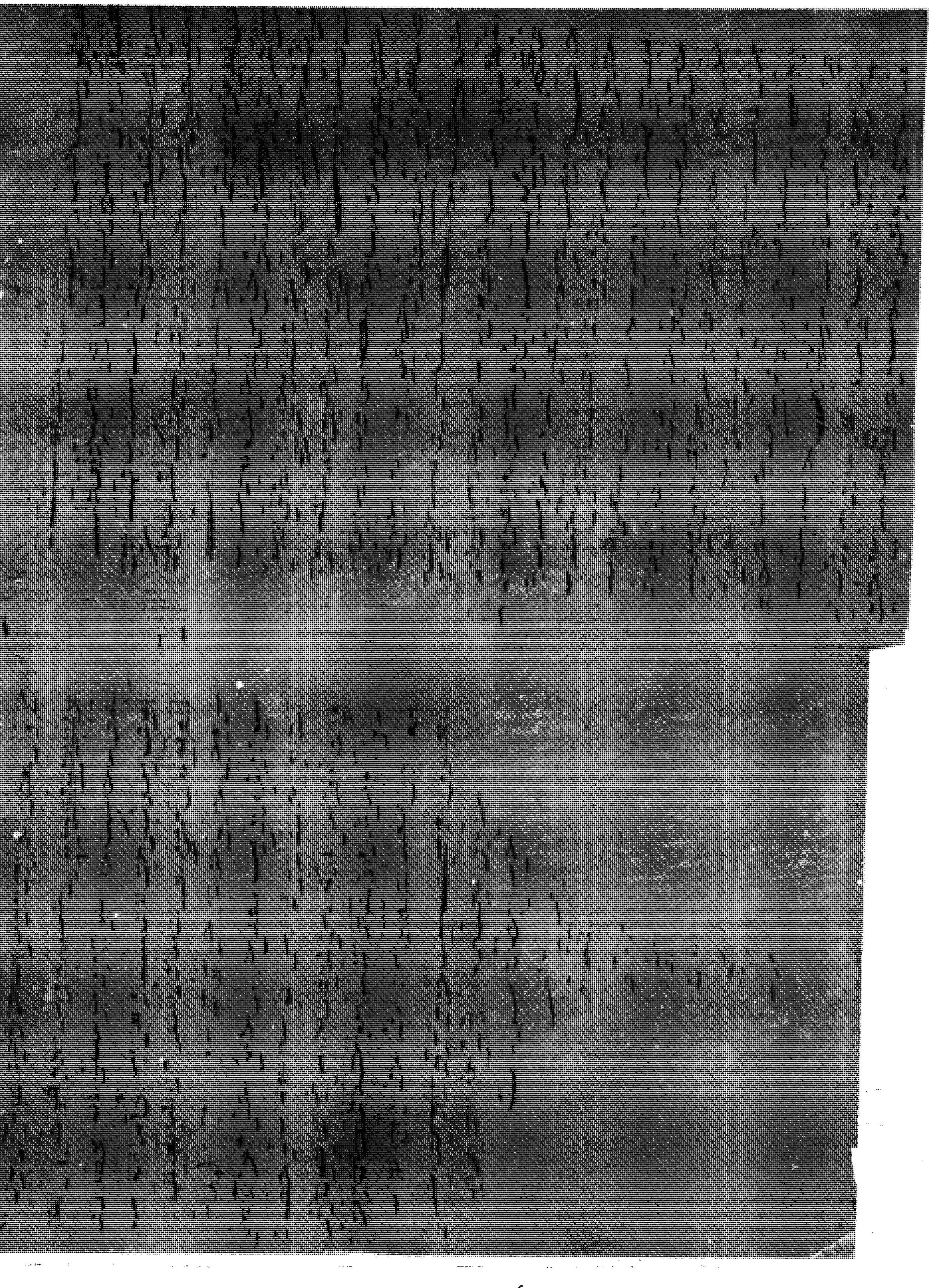
* * *

الورقة الأولى من نسخة « م »

الورقة الأخيرة من نسخة « م »



الورقة الأولى من نسخه « ب »



الورقة الأخيرة من نسخه « ب »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن أسبغ علينا فضله وإنعامه ، وحبانا بمزيد كرمه لطفا منه وكرامة ، أحمده حمدا يملأ الميزان ويوازي جبال تهامة ، وأشكره شكر عبد جعل القرآن أمامه ، وقدم الخير أمامه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد خائف ذنوبه وآثامه ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، المنزّل عليه : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ (١) ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه ما هطلت (٢) غمامة (٣) وسجعت (٤) حمامة ، وسلم تسليما . وبعد :

فيقول الفقير مرعي الحنبلي : « هذه فرائد تسر المحبّين ، وفوائد تسيء الحاسدين يطمئن بما فيها موافيها ، من الموقنين ، تتعلق بالكلام على قول رب العالمين : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (٥) . وسميته :

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) هو من الهطل : وهو تتابع المطر والدمع وسيلانه . يقال : « هطلت السماء تهطل هطلا وهطلانا » . انظر لسان العرب (٦٩٨/١١) .

(٣) الغمامة : بالفتح : السحابة – المصدر السابق (٤٤٣/١٢) .

(٤) سجع الحمامة : موالاة صوتها على طريق واحد . وتقول العرب : « وسجعت الحمامة ، إذا دعت وطرّبت في صوتها » المصدر السابق (١٥٠/٨) .
والمقصود : إلى الأبد .

(٥) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

« تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان »

فأقول – وبالله المستعان ، ومنه أرجو العفو والغفران –:

مقدمة في إعراب : هذه الآية . قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين لقسط ﴾ أي العدل (١) ، وانتصاب القسط على أنه صفة للموازين ، وأفرد كونه مصدرا ، والمصدر يستوي فيه الواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث (٢) ، والمعنى : ونضع موازين العدل ، أو أنه على حذف مضاف : والمعنى ذوات القسط (٣) ، وقيل : منصوب على أنه مفعول لأجله (٤) ، وأما قوله تعالى ﴿ ليوم القيامة ﴾ فقيل اللام بمعنى « في » وإلى ذلك ذهب ابن مالك (٥)

---

(١) قال الراغب في المفردات (ص ٦٠٨) القسط : النصيب بالعدل ، كالنصف والنصيفة ، والقسط : بفتح القاف : أن يأخذ قسط غيره ، وذلك جور ، والأقساط أن يعطي غيره قسطه ، وذلك إنصاف ولذلك قيل : قسط إذا جار وأقسط إذا عدل . انظر أيضا تفسير الطبري (٣٢/١٧) .

(٢) هو اختيار الفراء والطبري . انظر معاني القرآن (٢٠٥/٢) ، وتفسير الطبري ٣٣/١٧) . وأيضا تفسير الرازي (١٧٦/٢٢) ، وفتح الباري (٥٣٨/١٣) .
وذكره الزمخشري وقال : وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في أنفسها قسط الكشاف (١٣/٣) .

(٣) هو اختيار أبي إسحاق الزجاج . انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٩٤/٣) وذكره عنه الرازي ، وابن حجر ، وأورده الزمخشري دون عزو .

(٤) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في المصدر المذكور دون عزو إلى أحد . ويبدو لي أن الصواب هو القول الأول ، لأنه لا يحتاج إلى تقدير ، ويعرف في كلام العرب الوصف بالمصدر بكثرة .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الحياني ، نزيل دمشق أحد الأئمة في العلوم العربية . توفي سنة ٦٧٢ .
شذرات الذهب (٣٣٩/٥) .

وابن قتيبة [١] وهو رأي الكوفيين [٢] ومنه عندهم (لا يجلّيها لوقتها إلا هو) [٣] وقول الشاعر [٤] :

« أولئك قومي قد مضوا لسبيلهم كما قد مضى من قبل عاد وتبّع [٥] »

وقيل : إنها للتعليل . أي : لأجل حساب أهل يوم القيامة [٦] .

وقيل : اللام بمعنى عنده ، والمعنى : عند مجيء يوم القيامة كقوله تعالى : ﴿ بل كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ [٧] أي مجيئه ، وقولهم : جئت لخمس خلون من الشهر [٨] ، وأما قوله : ﴿ وإن كان مثقال ﴾ فالضمير يرجع للظّلامة المفهومة من تظلم [٩] ، وقيل : يرجع للعمل أي وإن كان العمل مثقال [١٠]

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري – صاحب التصانيف . منها : المعارف ، ثقة ، دين ، فاضل ، مات سنة ٢٧٦ . سير (٢٩٦/١٣) .

(٢) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط (٣١٦/٣) وعزاه إلى الكوفيين ، وابن قتيبة ، وابن مالك ، وذكر عنهما الحافظ ابن حجر في : الفتح (٥٣٩/١٣) . وهو اختيار الفراء أيضا . انظر معاني القرآن (٢٠٥/٢) .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٨٧ .

(٤) هو مسكين الدارمي .

(٥) كذا أورده أبو حيان في البحر المحيط (٣١٦/٣) نقلا عن ابن مالك . وهو في ديوان مسكين الدارمي (ص ٥٠) . وورد فيه الشطر الثاني هكذا :

.... كما مات لقمان بن عاد وتبّع » .

(٦) ذكره أبو حيان والزمخشري ، وابن حجر دون عزو إلى أحد .

(٧) سورة قٓ الآية ٥ .

(٨) هو اختيار الزمخشري . انظر الكشاف (١٣/٣) .

وذكره عنه أبو حيان ، وذكره الحافظ ابن حجر دون عزو .

(٩) ذكره مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن (٨٤/٢) . وانظر أيضا الكشف عن وجوه القراءات السبع (١١١/٢) .

(١٠) إليه ذهب النحاس في إعراب القرآن (٣٧٤/٢) .

وقرأ نافع [١] مثقال مرفوعا على أن « كان » تامة [٢] ، وقوله : ﴿ أتينا بها ﴾ . أي جئنا بها [٣] ، وقرئ (آتينا) [٤] بمعنى : جازينا وهو قريب من « أعطينا » [٥] أو من المواتاة [٦] ، فإنهم أتوه بالأعمال ، وآتاهم بالجزاء فهو مفاعلة [٧] ، والضمير في (بها) للمثقال وأنث لإضافته إلى الجنة [٨] – وسيأتي الكلام علي قوله –: ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ . إذا تقرر هذا فاعلم أن الصحيح عند أهل السّنة والجماعة أن المراد بالميزان : الميزان الحقيقي كما سيأتي ، لاأن المراد بالميزان مجرّد العدل ، وأن

---

(١) هو ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم المدني . وقيل في كنيته غير ذلك ، أحد القراء السبعة والأعلام ، ثقة صالح . توفي سنة ١٦٩ هـ . وقيل : غير ذلك . غاية النهاية (٣٣٠/٢) .

(٢) ذكر هذه القراءة مكي بن أبي طالب في الكشف (١١١/٢) عن نافع ، وعزا القراءة بالنصب إلى باقي القراء السبعة .

(٣) هذا المعنى على قراءة الجمهور ، لأنهم قرأوا (أتينا) من الإتيان . انظر البحر المحيط (٣١٦/٦) .

(٤) عزا هذه القراءة أبو حيان إلى ابن عباس ، ومجاهد ، والعلاء ، وابن شريح ... وغيرهم .

(٥) أشار أبو حيان إلى هذا القول وضعفه . حيث قال : « ولو كان على أفعلنا من الإيتاء بالمد على ماتوهمه بعضهم لتعدي مطلقا دون جار » قاله أبو الفضل الرازي .

(٦) في النسختين : المواطاة . وهو خطأ . والصواب : ماأثبته ، لأن الفعل منه « آتينا » .

(٧) هكذا قال الزمخشري في الكشاف (١٣/٣) ، وأبو حيان في البحر المحيط (٣١٦/٦) . وقد ضعف ابن عطية هذه القراءة سواء كان « آتينا » من الإيتاء ، أو من المواتاة ، فإنه قال – كما نقل عنه أبو حيان –: « لو كان « آتينا » أعطينا ، لما تعدت بحرف جر ، ويوهن هذه القراءة أن بدل الواو المفتوحة همزة ، ليس بمعروف ، وإنما يعرف ذلك في المضمومة والمكسورة .

(٨) كذا قال ابن جرير في تفسيره (٣٤/١٠) . وغيره من المفسرين .

وضع الموازين يوم القيامة كناية ، وتمثيل لإرصاد [١] الحساب السوي ، والجزاء على حسب الأعمال بالعدل [٢] .

وإلى ذلك ذهبت المعتزلة ، وأنكروا الميزان محتجين بأن الأعمال أعراض إن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها ، ولأنها معلومة لله تعالى فوزنها عبث [٣] . والجواب أنّه قد ورد في الحديث أن كتب الأعمال هي التي توزن [٤] ، ولعل في الوزن حكمة [٥] لا نطّلع عليها ، وعدم اطلاعنا على الحكمة لا يوجب العبث ، ونقل عن مجاهد [٦] أنّ المراد بالميزان العدل [٧] . قال الفخر [٨] : ويروى مثله عن قتادة [٩]

---

(١) هو من أرصد له الأمر . أي : أعدّه . لسان العرب (٣/١٧٧) .

(٢) يبدو أن هذا الكلام منقول من الزمخشري . راجع الكشاف (٣/١٣) .

(٣) تقدم ذكر من أنكر الميزان بشيء من التفصيل مع بيان أدلتهم في المقدمة .

(٤) لعله يقصد بذلك الحديث الذي ذكره نقلا عن الفخر الرازي . وهو سيأتي في (ص ٥٩) . ولم أجد من رواه . وهناك أحاديث أخرى تدل على أن الصحائف التي فيها أعمال العباد توزن ، كما أن هناك أحاديث غيرها تدل على أن الأعمال توزن . تقدم التفصيل في ذلك في المقدمة .

(٥) أشار بعض العلماء إلى ما يوجد في نصب الميزان من بعض الحكم . سيأتي ذكرها عند المؤلف في (ص ٦٥) . منها إظهار كمال عدل الله تعالى .

(٦) هو ابن جبر أبو الحجاج المكي ، ثقة ، إمام في التفسير ، وفي العلم مات سنة ١٠١ هـ . وقيل : غير ذلك . تقريب (٣٢٨) .

(٧) رواه ابن جرير في تفسيره (١٧/٣٣) من طريق ليث عنه . وروى أيضا من طريق آخر عن ابن أبي نجيح عنه . أنه قال في تفسير الآية : « إنما هو مثل » ...

(٨) هو محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله فخر الدين . المعروف بالفخر الرازي . له مشاركة في علوم عديدة . توفي سنة ٦٠٦ هـ .
انظر سير (٢١/٥٠٠) .

(٩) هو ابن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري . ثقة ، ثبت ، مات سنة بضع عشرة ومائة . تقريب (٢٨١) .

والضحاك [١] ، وقال : وحكاه ابن جبير [٢] عن ابن عباس ، وبه قال الأعمش [٣] ، وكثير من المتأخرين [٤] . وردّه الإمام الفخر ، وقال : إن حمل الموازين على مجرد العدل ، وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز ، لا سيّما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب [٥] .

قال الإمام الفخر في تفسير هذه الآية : « إن قول أئمة السلف إنه سبحانه يضع الموازين الحقيقية ليزن بها الأعمال » [٦] ، قال : « وعن الحسن [٧] : هو ميزان له كفتان ولسان ، وهو بيد

---

(١) هو ابن مزاحم الهلالي . صدوق ، كثير الإرسال . توفي بعد المائة . تقريب (ص ١٥٥) .

(٢) هكذا ورد في النسختين . وابن جبير هو : سعيد بن جبير الكوفي ، ثقة ، ثبت ، فقيه . قتل بين يدى الحجاج سنة ٩٥ هـ . تقريب (ص ١٢٠) – ويبدو أنه خطأ – والذى ورد فى تفسير الرازي (١٧٦/٢٢) هو : أن الرازي ذكر هذا القول عن مجاهد ، وقتادة ، والضحاك . ثم قال – مبينا لمعنى الآية على هذا القول –: « والمعنى : بالوزن القسط بينهم في الأعمال ، فمن أحاطت حسناته بسيئاته ، ثقلت موازينه ، يعني أن حسناته تذهب بسيئاته ... » إلى أن قال : « ... حكاه ابن جرير هكذا عن ابن عباد » . قلت : « وهذا الأثر موجود بنصه في تفسير ابن جرير (٣٣/١٧) » رواه من طريق عطية العوفي .

(٣) هو سليمان بن مهران أبو محمد الكوفي . ثقة ، حافظ ، عارف بالقراءة ، ورع لكنه يدلس . مات سنة ١٤٧ هـ . تقريب (١٣٦) .

(٤) انظر تفسير الرازي (٢٨/١٤ ، ١٧٦/٢٢) .

وقد ذكر هذا القول القرطبي في التذكرة (٣٧٧) . قال : وروى عن مجاهد ، والضحاك ، والأعمش أن الميزان هنا بمعنى العدل والقضاء . وكذا ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٣٨/١٣) . إلّا أنه عزاه إلى بعض السلف . وذكر رواية مجاهد .

(٥) انظر قول الرازي في تفسيره (١٧٧/٢٢) .

(٦) وكذا ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٣٩/١٣) .

(٧) هو ابن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه يسار . ثقة ، فقيه ، فاضل ، مشهور . وكان يرسل كثيرا ، ويدلس . مات سنة ١١٠ هـ . تقريب (ص ٦٩) .

جبريل عليه السلام [١] ، وأخرج أبو الشيخ [٢] في تفسيره من طريق الكلبي [٣] ، عن ابن عباس قال : « الميزان له لسان وكفتان » [٤] .
وأما عظمه فقال الفخر والثعلبي [٥] وغيرهما : روي أن داود – عليه السلام – سأل ربه جلّ جلاله أن يريه الميزان ، فلما رآه غشي عليه ، فلما أفاق قال : « يا إلهي ! من ذا الذي يقدر أن يملأ كفة حسناته ؟ فقال : إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة [٦] . وقال الفخر في تفسير سورة الأعراف [٧] : « إن عبد الله بن سلام قال : « إن ميزان رب

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في المصدر السابق له دون قوله : « وهو بيد جبريل – عليه السلام – وعزا تخريجه إلى اللالكائي في السنة من طريق عبد الملك بن أبي سليمان » . وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١٧١/٣) .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني . صاحب كتاب العظمة وطبقات المحدثين بأصبهان . ثقة ، توفي سنة ٣٦٩ هـ .
انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٧٦/١٦) .

(٣) هو محمد بن السائب أبو النضر الكوفي . المفسر ، متهم بالكذب ، ورمي بالرفض . مات سنة ١٤٦ هـ . تقريب (ص ٢٩٨) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٩/٣) . قال : وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله : « والوزن يومئذ الحق » . وقال : « أخبرني أبو صالح عن ابن عباس ... ثم ذكره » وهو ضعيف لأجل الكلبي ، ولم يثبت فيما أعرف ذكر اللسان للميزان فيما صح عن النبي – ﷺ – وإن كان ورد ذكره عند كثير من العلماء .

(٥) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، صاحب التفسير المسمى : « الكشف والبيان » توفي سنة ٤٢٧ هـ . سير (٤٣٧/١٧) .

(٦) انظر تفسير الرازي (١٧٦/٢٢) ، والكشف والبيان (٥٧/٣) نسخة المحمودية . وذكره البغوي في تفسيره (٢٤٦/٣) . والزمخشري في الكشاف (١٣/٣) .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ . سورة الأعراف : الآية ٨ .

العالمين ينصب بين الجن والإنس يستقبل به العرش إحدى كفتيه على الجنة والأخري على جهنم ، لو وضعت انسموات والأرض في إحداهما لوسعتهنّ ، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه [١] .

وروى الحاكم [٢] في المستدرك وصححه على شرط مسلم عن [٣] سلمان – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال : « يوضع الميزان يوم القيامة ، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن [٤] . فتقول الملائكة : يارب – لمن يزن هذا ؟ . فيقول الله : لمن شئت من خلقي . فتقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » [٥] .

وأما صفته . فقال الغزالي [٦] في الدرّة الفاخرة في كشف علوم

---

(١) انظر تفسير الرازي (٢٨/١٤) . لم أهتد إلى من أخرجه مسندا . وذكر القرطبي في التذكرة (ص ٣٧٨) قريبا من ذلك . قوال : ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول .

(٢) هو شيخ المحدثين محمد بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله بن البيّع النيسابوري . صاحب المستدرك على الصحيحين توفي سنة ٤٠٥ هـ . سير (١٦٢/١٧) .

(٣) هو مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . صاحب الصحيح المعروف . ثقة ، حافظ ، إمام ، مصنف ، عالم الفقه . توفي سنة ٢٦١ هـ . تقريب (ص ٣٣٥) .

(٤) في المستدرك : « لوسعت » .

(٥) انظر الحديث في المستدرك (٥٨٦/٤) . وفي آخره زيادة عن الصراط ، وافق الذهبي الحاكم في تصحيح الحديث على شرط مسلم ، وفيه بعض النظر . وروى الحديث موقوفا على سلمان ، وإسناده صحيح ، وله حكم المرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأي .

راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٥٦/٢ رقم ٩٤١) .

(٦) هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي . صاحب إحياء علوم الدين . وعليه بعض المؤاخذات في تصانيفه . توفي سنة ٥٠٥ هـ .

سير (٣٢٢/١٩) .

الآخرة [١] : « ينصب الميزان وهو كفتان : كفة عن يمين العرش من درة بيضاء . وكفة عن يساره من ظلمة » [٢] . وقال في التذكرة للقرطبي [٣] : « المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيّرة ، وصغائرهم في الكفة الأخرى ، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا ، وتثقل النيرة حتى لا ترتفع ، وترتفع المظلمة [٤] ارتفاع الفارغ الخالي ، وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة وإن كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى ، فلا تقاومها إظهارا لفضل المتقين ، وذلّ الكافرين » [٥] .

وأما صاحبه ففي الثعلبي [٦] وغيره ، وأخرجه في تفسيره ابن جرير [٧] ، وابن أبي الدنيا [٨] عن حذيفة – رضي الله عنه – قال : صاحب الميزان يوم القيامة جبريل – عليه السلام – [٩] ، وقد مر قريبا قول

---

(١) ص : ٦٢ .

(٢) لم ينسب هذا القول إلى النبي – ﷺ – ولا غيره . والله أعلم بمدى صحته .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي ، المفسر . صاحب جامع أحكام القرآن . من عباد الله الصالحين . توفي سنة ٦٧١ هـ . الديباج (٣٠٨/٢) .

(٤) في النسختين « الظلمة » . والصواب ما أثبته ، كذا هو في التذكرة .

(٥) انظر التذكرة (ص ٣٧٩) . وهو منقول بالمعنى ، لا بالنص .

(٦) انظر الكشف والبيان (ق ١٠٢ / ١) نسخة المولوية بحلب .

(٧) هو محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري . صاحب جامع البيان . وقد قال فيه الإسفرائيني : « لو سافر رجل إلي الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن كثيرا » توفي سنة ٣١٠ هـ . غاية النهاية (١٠٨/٢) .

(٨) هو عبد الله بن محمد بن عبيد أبو بكر البغدادي . صاحب تصانيف . صدوق حافظ . توفي سنة ٢٨١ هـ . تقريب (ص ١٨٨) .

(٩) رواه ابن أبي الدنيا كما في النهاية لابن كثير (٣٢/٢) ، وابن جرير في تفسيره (١٢٣/٨) من طريق يوسف بن صهيب ، عن موسى بن أبي المختار عن بلال بن يحيى ، عن حذيفة . موقوفا . بزيادة في آخره . =

الفخر عن عبد الله بن سلام ، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه [١] . وقول الحسن : هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل – عليه السلام [٢] – وفي الثعلبي [٣] عن أنس – رضي الله عنه – أن ملكا من ملائكة الله – عز وجل – موكل يوم القيامة بميزان ابن آدم ، فيؤتى به حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله ، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق باسم الرجل : ألا سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خفت موازينه نادى الملك : « ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا » [٤] .

وقد اختلف العلماء . هل الميزان واحد أو أكثر ؟ . فقال الحسن ابن أبي الحسن البصري : « لكل واحد ميزان » [٥] . لقوله تعالى :

= وأورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٣٩/١٣) . وعزا تخريجه أيضا إلى اللالكائي في السنة . وموسى ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٦٤/٨) دون توثيق أو تجريح .

(١) (ص ٥٣) .

(٢) (ص ٥٣) .

(٣) لم أهتد إلى موضعه في تفسير الثعلبي . وهو موقوف . وقد روى مرفوعا من حديث أنس . كما سيأتي في آخره .

(٤) أخرجه البزار في مسنده – كما في كشف الأستار (١٦٠/٤) ، وأبو نعيم في الحلية (١٧٤/٦) من حديث أنس مرفوعا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٧٠/٣) أيضا إلى ابن مردويه واللالكائي والبيهقي . وقال أبو نعيم : « وتفرد به داود بن المحبر » . وهو متروك متهم بالكذب . انظر تقريب (ص ٩٧) . وتعليق الألباني على شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٤) . وفيه أيضا صالح المري . وهو مجمع على ضعفه . انظر مجمع الزوائد (٣٥٠/١٠) .

(٥) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٠/٤) .

والسفاريني في لوامع الأنوار (١٨٦/٢) . وذكره القرطبي في تفسيره (٢٩٣/١) . دون عزو إلى أحد ، فقال : « الموازين جمع ميزان » فقيل : « إنه يدل بظاهره على أن لكل مكلف ميزانا توزن به أعماله ، فتوضع الحسنات في كفة ، والسيئات في كفة » .

﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ [١] . وقال بعضهم [٢] : « الأظهر إثبات الموازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى : ﴿ ونضع الموازين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ قال : « وعلى هذا فلا يبعد أن تكون لأفعال القلوب ميزان ، وللجوارح ميزان ، ولما يتعلق بالقول ميزان [٣] ، ولم يرض ابن عطية [٤] هذا القول . وقال : إنّ الناس على خلافه ، وإنّما لكل واحد وزن مختص به ، والميزان واحد » [٥] .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .

(٢) هو الرازي . وقد صرح بذلك في تفسره (٢٩/١٤) .

(٣) أورده السفاريني بنصه في لوامع الأنوار (١٨٦/٢) نقلا عن ابن عطية ، وذكره القرطبي في تفسيره (٢٩٣/١١) . دون تصريح بقائله . قال : « يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد ، يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله » . وذكر ابن حجر هذا القول – والذي قبله – في فتح الباري (٥٣٧/١٣) . وعقب عليهما فقال : « فيكون الجمع حقيقة » وهناك أقوال أخري في هذا الجمع . فقيل : لكل أمة ميزان . ذكره السفاريني . وقيل : للميزان كفتان ، وخيوط ولسان . والشاهين فالجمع يرجع إليها . ذكره القرطبي . وهو قول ضعيف . وقيل : « إن الموازين هاهنا جمع موزون لا جمع ميزان ، وأراد بالموازين : الأعمال الموزونة . ذكره الرازي في تفسيره (٢٦/١٤) . وقال أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٠/٤) : « وقد يعبر عن الحسنات بالموازين ، فيكون ذلك على حذف مضاف : أي فمن ثقلت كفة موازينه ، أي : موزوناته ، فيكون موازين جمع موزون لا جمع ميزان . وكذلك : « ومن خفت كفة حسناته » .

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن عطية – الدمشقي – مقرئ مفسر ، إمام ثقة ، صاحب المحرر الوجيز . توفي سنة ٣٨٣ هـ . غاية النهاية (٤٣٣/١) .

(٥) المحرر الوجيز (١٣/٧) . وصرح ابن حجر بأن الذي يترجح أنه ميزان واحد ، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله ، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا . فتح الباري (٥٣٨/١٣) . ووصفه السفاريني بأنه الأشهر . لوامع الأنوار (١٨٦/٢) .

وأجاب بعضهم عن جميع الموازين في الآية بأنها إنما جمعت لكثرة من توزن أعمالهم [١] . أو هو جمع تفخيم [٢] .

واختلف العلماء في الموزون . فقيل : « يوزن العبد مع عمله » [٣] . وقيل : « يجسّد العمل ويوزن » [٤] . قال ابن عبّاس : يجاء بالحسنات في أحسن صورة ، ويجاء بالسيئات في أقبح صورة [٥] . وقيل : « يوضع في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة ، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة » [٦] ، والصواب ما صحّحه ابن عبد البر [٧] والقرطبي وغيرهما ، أن الموزون الصّحائف [٨] . قال الإمام

---

(١) إلي هذا ذهب السفاريني ووصفه بأنه حسن . وقال الحافظ ابن حجر – أثناء ذكره للأقوال –: أو ليس هناك إلّا ميزان واحد ، والجمع باعتبار تعدد الأعمال ، أو الأشخاص . ويدل على تعدد الأعمال قوله تعالي : ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ .

(٢) ذكره ابن حجر بلفظ الاحتمال . وأيده بقوله تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ . سورة الشعراء الآية ١٠٥ . فإنه لم يرسل إليهم إلّا واحد ، وذكر الجوابين الرازي في تفسيره (١٧٧/٢٢) .

(٣) تقدم ذكره مع أدلته في المقدمة .

(٤) تقدم ذكره مع أدلته في المقدمة .

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١/٧٨/١) في سياق طويل . وفي سنده الكلبي ، وهو محمد بن السائب . متهم بالوضع ، ورمي بالرفض . تقريب التهذيب (ص ٢٩٨) .

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٣/٣) . والرازي في تفسيره (١٧٦/٢٢) إلى أحد . وهو قول ليس عليه دليل من الكتاب والسنة .

(٧) هو حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي . صاحب التصانيف الفائقة . توفي سنة ٤٦٣ هـ .
سير (١٥٣/١٨) .

(٨) قال القرطبي : والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال المكتوبة – وبها تخف – كما دلّ عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز قال الله – عز وجل –: =

الفخر : إن رسول الله - ﷺ - سئل عما يوزن يوم القيامة . فقال : « الصحف » (١) وهو مذهب المفسرين (٢) لقوله تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ (٣) . فعلى هذا فالثقل الذي يكون في الميزان إنما يكون في صحائف الأعمال ، وحكاه ابن عطية عن أبي المعالي (٤) . قال ابن عطية : « وهذا أقربها » (٥) .

ونقل المفسرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص . ورواه الترمذي (٦)

= « وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين » . سورة الانفطار الآيتان ١٠ ، ١١ .

ثم نقل عن ابن عبد البر تصريحه بأن صحائف الأعمال هي التي توزن . انظر التذكرة (ص ٣٧٧) .

ويأتي ذكر بعض الأحاديث المؤيدة لهذا القول - وصوّب المؤلف هذا القول في : بهجة الناظرين (ق ١٤٦ / ب) أيضا . كما نقل عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٣٩/١٣) ، لأن الأعمال أعراض لا توصف بثقل وخفة . ووصف السفاريني هذا القول بأنه الحق . لوامع الأنوار (١٨٧/٢) .

(١) انظر تفسير الرازي (٢٧/١٤ ، ٢٨) .

ولم أهتد إلى من روى هذا الحديث . كما أني لم أعرف درجته .

(٢) عزاه السفاريني إلي جمهور من المفسرين .

(٣) سورة الأعراف الآية ٨ .

(٤) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني . صاحب التصانيف . وكان يستروح إلي التأويل في صفات الرب تعالى ، ولكنه رجع عنه . توفي سنة ٤٧٨ هـ . سير (٤٦٨/١٨) .

وأما قوله . فهو موجود في الإرشاد (ص ٣٢٠) . حيث قال فيه : « والموزون : الصحف المشتملة على الأعمال » .

(٥) انظر المحرر الوجيز (١٣/٧) . وفيه : « وهو أقربها إلى الظن » .

(٦) هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة . صاحب السنن . أحد الأئمة ثقة ، حافظ . توفي سنة ٢٧٩ هـ . تقريب (ص ٣١٤) .

وابن ماجه [١] وابن حبان [٢] ، والحاكم . وصححه ، والبيهقي [٣] قال : قال رسول الله - ﷺ -: « يصاح برجل من أمتي على رؤوس الأشهاد يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كلّ سجلّ منها مدّ البصر ، فيها خطاياه وذنوبه . فيقول الله : أتنكر من هذا شيئا ، أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذرا وحسنة ؟ . فيقول : لا يارب . فيقول الله : بلى إنّ لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمدا عبده ورسوله . فيقول : يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ . فيقال : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فتطيش السجلات وتثقل البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء » [٤] .

فثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون إنما هو : صحائف

---

(١) هو أبو عبد الله بن محمد القزويني . أحد الأئمة ، صاحب السنن ، حافظ . توفي سنة ٢٧٣ هـ . تقريب (ص ٣٢٤) .

(٢) هو أبو حاتم محمد بن حبّان البستي . صاحب التصانيف المعروفة ، ثقة ، نبيل فهم . توفي سنة ٣٥٤ هـ سير (٩٢/١٦) .

(٣) هو أبو بكر أحمد بن الحسين . صاحب السنن الكبري . جمع بين علم الحديث والفقه وبيان علل الحديث . توفي سنة ٤٥٨ هـ . سير (١٦٣/١٨) .

(٤) الحديث عند الترمذي في سننه (٢٤/٥ رقم ٢٦٣٩) .
وابن ماجه في سننه (١٤٣٧/٢ رقم ٤٣٠٠) .
والحاكم في مستدركه (٥٢٩/٦/١) .
والبيهقي في شعب الإيمان (١/٧٨/١) .
وقال الترمذي : « حسن غريب » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد على شرط مسلم » ووافقه الذهبي ، ووافقهما الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٣٥) .

الأعمال [١] . وقلت : « وعلى هذا فكيف يعقل وزن هذه الصحف ؟ فهل العبرة في الوزن بتفاوت أجرام الصحف أو بالكتابة التي فيها ، وعلى كلا التقديرين فمشكل بحديث البطاقة ، فسبحان العالم بكل شيء » [٢] .

واختلف العلماء : هل توزن أعمال الكافرين ، أو الوزن خاص بأعمال المؤمنين ، وفي كل آيات متعارضات . فقال بعضهم : توزن أعمال الكافرين لقوله تعالى : ﴿ ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ [٣] . أي : يجحدون . قاله : مجاهد [٤] . وقوله تعالى : ﴿ وأما من خفت موازينه * فأمّه هاوية ﴾ [٥] . قال القرطبي : « فإن قيل إذا وزن عمل الكافر فما يقابله في الكفة

---

(١) تقدم التفصيل في هذا في المقدمة . ورأينا أن الراجح هو التوفيق بين الأقوال والنصوص الواردة في ذلك .

(٢) بعد تفويض علمه إلى الله تعالى ، لا يبقى أي إشكال ، علما بأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا ، كما تقدم ذكره ، نقلا عن ابن حجر . ولعل قوله ﷺ في الحديث السابق : « ولا يثقل مع اسم الله شيء » . يكون فيصلا في ذلك ، وهو يبين أنه لا يكون اعتبار لأجرام الصحف ، ولا للكتابة التي فيها ، وانما يكون لشيء آخر يعلمه الله تعالى . وليس في ذلك أي إشكال إذا وكلنا علمه إلى الله تعالى ، فهو بمنزلة كيفية سائر ماأخبرنا به من الغيب ، فلا يتعرض لأكثر مما ورد به الكتاب والسنة الصحيحة ، بل يتوقف عند حدهما ، مع الإيمان الجازم بصدق ماورد فيهما من أخبار الغيب .

(٣) سورة الأعراف الآية ٩ .

(٤) روي ابن جرير في تفسيره (١٢٥/٨) من طريق الأعمش ، عن مجاهد ﴿ ومن خفت موازينه ﴾ . قال : « حسناته » .

(٥) سورة القارعة الآيتان ٨ ، ٩ .

وقد استدل القرطبي بهذه الآية وغيرها على أن الكفار توزن أعمالهم لأنهم هم المعنيون عامة بقوله : (خفت موازينه) . انظر التذكرة (٣٧٣) .

الأخرى ؟ . قلنا : ما كان من صلة الأرحام ، وأفعال البر ونحو ذلك ، غير أن الكفر إذا قابلها رجح عليها » [١] .

وقال بعضهم : « لا توزن أعمال الكافرين لقوله تعالى : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ [٢] . وأجاب من قال بوزن أعمالهم عن هذه الآية : أن المراد وزنا يعتد به ، أي فلا يكرمون ولا يعطون [٣] ، وهذا مجاز عن عدم الاعتداد بهم [٤] .

---

(١) انظر التذكرة (ص ٣٧٦) . وماذكره المؤلف هو معنى قول القرطبي ، ثم إنه أحد الوجهين اللذين أجاب بهما عن الاعتراض المذكور . أما الوجه الثاني : فهو أن الكافر يحضر له ميزان فيوضع كفره وسيئاته في إحدى كفتيه ، ثم يقال له : « هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى ؟ فلا يجدها . فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة ، وتقع الكفة المشغولة ، فذلك خفة ميزانه » وهو ظاهر الآية .

(٢) سورة الكهف الآية ١٠٥ . وهذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٢٧٠/٤) . فقال : « وقال قوم » : لا ينصب لهم ميزان ولا يحاسبون ، لقوله : ﴿ وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ سورة الفرقان الآية ٢٣ . وذكره الزمخشري في الكشاف (٤٠٣/٢) . فإنه قال – عند الآية المذكورة عند المؤلف –: « وقيل : لا يقام لهم ميزان ، لأن الميزان لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين » . ويبدو أن شيخ الإسلام ابن تيمية ذهب إلى هذا القول . فإنه قال : « وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته ، فإنهم لا حسنات لهم ، ولكن تعد أعمالهم وتحصى ، فيوقفون عليها ، ويقرون بها ، ويجزون بها » .

مجموع الفتاوى (١٤٦/٣) . وهذا مجرد استنباط يخالف عموم النصوص الواردة في الميزان .

(٣) كذا في النسختين « يعطون » ويبدو أن الصواب : « يعظمون » . وهكذا ورد في تفسير الرازي .

(٤) قال الرازي في تفسيره (١٧٧/٢٢) – في معنى الآية –: « أنه لا يكرمهم ولا يعظمهم » . وقال القرطبي في التذكرة (ص ٣٧٤) : « وقيل » : يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة ، كأنه قال : « فلا قدر لهم عندنا يومئذ » .

والصواب : « أن الميزان لا يكون في حق كل أحد ، فإن الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، لا ينصب لهم ميزان [١] ، وكذلك من يعجل به إلى النار لا يقام لهم وزن ، وبقية الكفار ينصب لهم الميزان ، فظهر بهذا أن قوله تعالى : ﴿ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ﴾ محمول على من يعجل به للنار والآيات الأخر في حق بقية الكافرين ، فإذاً لا تعارض بين الآيات ولا مجاز في الآية ، فتأمل هذا التحقيق » [٢] .

---

(١) ذكر نحو هذا القرطبي في التذكرة (ص ٣٧٥) . فإنه قال : « الميزان حق ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام : « فيقال : يامحمد ! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه ... الحديث » . وقوله تعالى : ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ . سورة الرحمن الآية ٤١ . وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ، ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا من المؤمنين وقد يكون للكافرين » .

ونقله ابن كثير في النهاية (٣٦/٢) . وقال : « وقد تواترت الأحاديث في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، لكن يلزم من هذا أن لا توزن أعمالهم ، وفي هذا نظر . والله أعلم » . ثم ذكر أن في وزن أعمال السعداء وإن كانت راجحة . إظهار شرفهم والتنويه بسعادتهم ونجاتهم . وفي وزن أعمال الكفار وإن لم تكن لهم حسنات تنفعهم إظهار شقائهم وفضيحتهم ، كما أن في ذلك إظهار كمال عدل الله تعالى .

(٢) يبدو أن هذا التحقيق مبني على كلام القرطبي الذي سبق ذكره ، وهو توفيق حسن بين النصوص ، إلّا أنه ليس هناك ما يؤيده من الكتاب والسنة ، ثم إن النصوص التي تدل على دخول طائفة بالجنة دون حساب ، وكذلك النصوص التي تدل على التعجيل بقوم إلى النار ، ليست صريحة في عدم نصب الميزان لهم ، والاستدلال بها على عدم نصبه فيه نظر ، كما أشار إليه ابن كثير .

وقال أبو حيان : « والظاهر أن هذا التقسيم – يقصد ما جاء في قوله تعالي : (من ثقلت موازينه ... ومن خفت موازينه) – هو بالنسبة للمؤمنين من أطاع ومن عصى ، وللكفار فتوزن أعمال الكفار » . البحر المحيط (٢٧٠/٤) . وهذا الذي تقتضيه ظواهر أكثر الآيات والأحاديث ، كما صرح بذلك الألوسي ، ولكنه مال إلى عدم عمومها ، ولم يذكر سبب ميله إليه » .

انظر روح المعاني (٥٥/١٧) .

وقال بعض أهل التحقيق [١] : « خيرات الكافر توزن ويجزى بها إلّا أن الله تعالى حرّم عليه الجنة ، فجزاؤه أن يخفف عنه ، بدليل حديث أبي طالب [٢] وذكر المحققون أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس وارتضاه الأئمة [٣] ، ونقل ذلك عن عبد الله بن سلام – رضي الله عنه –[٤] .

---

(١) لعله يقصد بذلك القرطبي ، فإنه ذكر نحو هذا الكلام في التذكرة (ص ٣٧٧) .

(٢) هو عم النبي – ﷺ – .

والمقصود بحديث أبي طالب هو ماروواه البخاري في صحيحه (١٩٣/٧) رقم ٣٨٨٣) ، ومسلم في صحيحه (١٩٤/١ ، ١٩٥ رقم ٢٠٩) من حديث العباس بن المطلب . قال للنبي – ﷺ –: « ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك . قال : هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » . هذا لفظ البخاري .

وهذه المسألة – أيضا – ذكرها ابن كثير نقلا عن القرطبي . وقال : « وفي هذا نظر ، وقد يكون هذا خاصا به ، خلصه رسول الله – ﷺ – بسبب نصرته له » . وذكر أنه سئل النبي – ﷺ – عن عبد الله بن جدعان ، وذكر أنه كان يقري الضيف ويصل الرحم ، ويعتق ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « لا . إنه لم يقل يوما من الدهر : لا إله إلّا الله ... » (النهاية (٣٧/٢) .

(٣) منهم القرطبي . حيث ذكر من أدلة الكتاب والسنة مايؤكد على أن الجن أيضا مكلفون ، وأن حكمهم في الآخرة كحكم الآدميين .

انظر التذكرة (ص ٣٨٠ ، ٣٨١) .

وذكر ذلك السفاريني نقلا عن المؤلف من بهجة النفوس ، ووافقه .

انظر لوامع الأنوار (٢ /١٨) .

(٤) انظر الكشف والبيان (ق ١٠٢ / ١ نسخة المولوية بحلب) .

وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير (١٧١/٣) . وزاد عليها واحدة فقال : « والخامسة : الإعلام بأن الله تعالى عادل لا يظلم ، ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب ، واستنسخها من غير جواز النسيان عليه » .

وانظر أيضا الفتوحات الإلهية (١٢٢/٢) .

واختلف العلماء . ما الحكمة في وزن الأعمال مع أن الله تعالى عالم بكل شيء قبل وزنه ؟ . قال الثعلبي : « لأجل أربعة أشياء : إما تعريف الله تعالى العباد ما لهم عنده من جزاء على خير أو شر ، أو امتحانهم بالإيمان في الدنيا ، أو جعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى ، أو إقامة الحجة عليهم » [١] . انتهى .

قلت : « الأحسن أن يقال الحكمة فيه إظهار العدل ، وبيان الفضل ، حيث أنه تعالى يزن مثاقيل الذر من الأعمال : ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ » [٢] .

قال أبو عثمان النهدي [٣] : « قدمت إلى مكة حاجا ، أو معتمرا ، فلقيت أبا هريرة . فقلت : بلغني عنك أنك تقول : الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف حسنة . فقال : لم أقل ذلك ، ولكني قلت : إن الحسنة تضاعف بألفي ألفي ضعف . ثم قال : « قال الله تعالى : ﴿ ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ [٤] » .

---

(١) ذكره السفاريني عن المؤلف مؤيدا له .

(٢) سورة النساء الآية ٤٠ .

انظر لوامع الأنوار (١٨٨/٢) .

(٣) هو عبد الرحمن بن مل . مشهور بكنيته ، مخضرم ، ثقة ، ثبت ، عابد ، مات سنة ٩٥ . تقريب (ص ٢١٠) .

(٤) لم أهتد إلى من رواه بهذا اللفظ ، وأورد السيوطي في الدرالمنثور (١٦٣/٢) قريبا من هذا . ولكنه لم يرد فيه ذكر الحج أو العمرة ، وجاء فيه : « ألف ألف حسنة » . بدل « ألف حسنة » . وفيه : قال أبو هريرة : « نعم . وألفي ألف حسنة » . وعزا تخريجه إلى ابن أبي شيبة . وهذا في الظاهر موقوف . وهناك روايات أخرى للحديث مرفوعة منها : ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٩٦/٢ ، ٥٢١) . والطبري في تفسيره (٩١/٥) من طريق على بن زيد عن أبي عثمان النهدي . قال : « أتيت أبا هريرة . =

وقال الحسن : ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ﴾ أحبّ إليّ من قول العلماء : « من أن الحسنة الواحدة تضاعف مائة ألف حسنة ، لأن التضعيف الذي قالوه يكون مقداره معلوما ، وأما على هذه العبارة التي في كتاب الله فغير معلوم » [١] .

قال النسفي [٢] – مستدركا من عموم وزن الأعمال –: « إن الإيمان لا يوزن لأنه ليس له ضد يوضع في كفة أخرى ، لأن ضده الكفر ، والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسان الواحد » [٣] . قلت : « وورد أيضا أن البكاء من خشية الله لا يوزن لعظمه عند الله » .

= فقلت له : « إنه بلغني أنك تقول : إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة . قال : « وماأعجبك من ذلك . فوالله لقد سمعت .. يعني النبي ﷺ ... يقول : إن الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » . وأعله ابن كثير بعلي بن زيد بن جدعان . إلّا أن الحديث له طرق أخرى . راجع لمعرفتها تفسيره (٤٩٨/٢) .

(١) لم أهتد إلى من رواه أو ذكره عنه .

(٢) هو أبو حفص عمر بن محمد الحنفي السمرقندي . صاحب فنون . توفي سنة ٥٣٧ هـ . انظر سير (١٢٦/٢٠) .

(٣) ذكره السفاريني في لوامع الأنوار (١٨٨/٢) نقلا عن بحر الكلام . وذهب إليه أيضا الحكيم الترمذي . كما ذكر عنه القرطبي ، ثم انتصر له ، مع أنه يخالفه حديث البطاقة السابق . وفيها : « أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله » . وهي كلمة الإخلاص ، وأساس الإيمان ، وأجابوا عنه بأن كلمة الإخلاص تكون أول مرة إيمانا ، وبعد ذلك تكون حسنة من الحسنات . وقال القرطبي : « ويدل على هذا قوله في الحديث » : فيقول : « بلى ، إن لك عندنا حسنة » . ولم يقل : « إن لك إيمانا » . واستدل أيضا بحديث آخر عند البيهقي . أنه سئل رسول الله – ﷺ – عن « لا إله الّا الله أمن الحسنات هي ؟ فقال : من أعظم الحسنات » . انظر التذكرة (ص ٣٨١) .
وأشار السفاريني في لوامع الأنوار (١٨٨/٢) إلى هذه المسألة ، وانتصار القرطبي لمن ذهب إلى القول بأن الإيمان لا يوزن ، وعقّب عليه بقوله : « وفيه نظر لا يخفى » .
ويبدو لي أن الذي جرهم إلى القول بأن الإيمان لا يوزن ، اعتقادهم بأن الإيمان اسم لمجرد التصديق بالقلب ، وهو بسيط غير مركب ، لا يقبل الزيادة والنقصان . =

روى إمامنا أحمد [١] أن النبي – ﷺ – نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي . فقال : « من هذا ؟ . قال : فلان . فقال جبريل – عليه السلام –: إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلّا البكاء ، فإنّ الله يطفىء بالدمعة الواحدة بحورا من نار جهنم » [٢] .

وروى البيهقي : أنّ النبي – ﷺ – قال : « لو أن باكيا بكى في أمّة من الأمم لرحموا ، وما من شيء إلاّ له مقدار وميزان ، إلّا الدمعة فإنها تطفي بها بحار من نار » [٣] ، وكذلك الأعمال الغير المخلصة لا توزن .

روى البزار [٤] ، والطبراني [٥] ، والدارقطني [٦] ،

= وهو مذهب غير صحيح ، والذي عليه السلف أن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان . يقبل الزيادة والنقصان .

وعلى هذا ليس في وزنه أي إشكال . والله أعلم .

وراجع التفصيل في مسألة الإيمان : كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(١) هو إمام أهل السنة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . أحد الأئمة ، ثقة ، حافظ ، فقيه ، حجة . توفي سنة ٢٤١ هـ .
تقريب (ص ١٦) .

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٢٧) من طريق أبي الجراح عن رجل من أصحابهم يقال له : « خازم » . ويبدو أنه مرسل ، وإسناده ضعيف ، لأن أبا الجراح مجهول . كما في التقريب (ص ٣٩٨) .

(٣) بحثتُ عنه فلم أجده .

(٤) هو أبو بكر أحمد بن عمرو البصري ، صاحب المسند الكبير ، ثقة ، يخطىء ، لأنه يتكل على حفظه . توفي سنة ٢٩٧ هـ . سير (٥٥٤/١٣) .

(٥) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب . صاحب المعاجم الثلاثة ، ثقة ، حافظ . توفي سنة ٣٦٠ هـ . سير (١١٩/١٦) .

(٦) هو أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي ، كان من بحور العلم ومن أئمة الدنيا . توفي سنة ٣٨٥ هـ . سير (٤٤٩/١٦) .

والأصبهاني [١] ، عن أنس – رضي الله عنه – قال : « قال رسول الله – ﷺ – : يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة ، فتنصب بين يدي الله . فيقول الله : ألقوا هذه ، واقبلوا هذه ، فتقول الملائكة : وعزتك ما كتبنا إلّا ما عمل . فيقول عز وجل : « إن هذا كان لغير وجهي ، وأني لا أقبل اليوم إلّا ما ابتغي به وجهي » [٢] .

لطيفة . قال علماء الصوفية : « من وزن أعماله ، وأنفاسه في الدنيا بميزان العدل فهو من العابدين ، ومن وزن حركاته فهو من المحبين ، ومن وزن خطراته به فهو من العارفين ، وميزان العدل ثلاثة : ميزان النفس والروح ، فمن وزنهما بميزان الأمر والنهي بكفة الكتاب والسنة ، نال الدرجات في الجنات ، وميزان القلب والعقل . فمن وزن حركتهما بميزان الثواب والعقاب بكفة الوعد والوعيد ، نال أسنى الدرجات ، وميزان المعرفة والسّرّ ، فمن وزنهما بميزان الرضا والسّخط ، بكفة الطلب والهرب ، سلم مما هرب ، وفاز بما طلب ، ومن أراد الوصول إلى المسبب فعليه بالهرب من السبب ، فإنه حجاب كل طالب » [٣] .

---

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي . صاحب الترغيب والترهيب ، حافظ ، علامة . توفي سنة ٥٣٥ هـ . سير (٨٠/٢٠) .

(٢) رواه البزار في مسنده . كما في كشف الأستار (١٥٧/٤) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٠/١٠) : « رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح » . ويلاحظ أن الحديث ليس نصا في عدم وزن الأعمال غير المخلصة ، وإنما هو نص في عدم قبولها ، ووزن الأعمال شيء ، وقبولها شيء آخر .

(٣) لم أعرف كلام من هذا . وفي الكتاب والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتابعين غنية عن مثل هذا الكلام . وقد أشار الألوسي إلى شيء من ذلك ، وفيه : أنه قال : « وذكروا أن في الدنيا موازين وأعظم موازينها الشريعة . وكفتاه : الكتاب =

وأما قوله تعالي : ﴿ وكفي بنا حاسبين ﴾ قال الزجاج [١] – في هذه الآية –: « هذا خبر ، ومعناه الأمر أي اكتفوا بنا [٢] ، وأصل الحساب العد والإحصاء » [٣] قال الثعلبي : « ومعنى الحساب : تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء علي أعمالهم ، وتذكيره إياهم ما قد نسوه من ذلك ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا ، فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه ﴾ » [٤] . وقال بعضهم : « معني كونه تعالى محاسبا لخلقه ، أنّه تعالى يعلمهم ما لهم وعليهم » .

قال الفخر : « بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية ، وكيفياتها ، بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب » وقال بعضهم : إنه تعالى يكلم عباده في أحوال أعمالهم من الثواب والعقاب [٥] ، لما في

= والسنة ، ثم عقب عليه بقوله : « ولعمري لقد عطل هذا الميزان متصوفة هذا الزمان . أعاذنا الله تعالى والمسلمين مما هم عليه من الضلال » . روح المعاني (٥٧/١٧) .

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري البغدادي . مصنف معاني القرآن ، إمام النحو في زمانه . توفي سنة ٣١١ هـ . سير (٣٦٠/١٤) .

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه (٣٩٤/٣ ت د / عبد الجليل) . وفيه : « اكتفوا بالله حسيبا » . وذكره عنه الرازي في تفسيره (١٩٠/٥) . وزاد : « فسمي الحساب في المعاملات حسابا ، لأنه يعلم به ما فيه كفاية ، وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان » .

(٣) نقله الرازي عن الليث ، وابن السكيت .

(٤) سورة المجادلة الآية ٦ .

وانظر قول الثعلبي في الكشف والبيان (١/٥٨/٢) . نسخة المحمودية .

(٥) انظر القولين في تفسير الرازي (١٩٠/٥) . ذكرهما الرازي دون تصريح بقائلهما ، وفي كونهما تفسيرا للآية نظر . وهما مآل الحساب ونتيجته لا الحساب نفسه . والله أعلم .

وهناك أقوال أخرى منها : أن المحاسبة عبارة عن المجازاة . ذكره الرازي ، وأبو حيان في البحر المحيط (٣١٧/٦) .

ويبدو أنه اختيار القرطبي . حيث قال : « أي مجازين على ما قدموه من =

البخاري [١] « عن النبي – ﷺ – ما منكم من أحد إلّا سيكلّمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، ولا حجاب يحجبه » [٢] . قال الفخر : « فمن قال » إنّ كلامه تعالى ليس بصوت ، ولا حرف . قال : « إن الله يخلق في أذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم [٣] ، كما أنه يخلق في عينيه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال : « إنه صوت ؟. قال : » إن الله تعالى يخلق كلاماً يسمعه كل مكلف . إما أن يخلق ذلك الكلام في أذن كل واحد منهم ، أو في جسم بقرب من أذنه ، بحيث لا تبلغ قوة ذلك الصوت ، أن تمنع الغير من فهم ما كلّف به [٤] . قال : وهذا هو

= خير وشر » . ثم ذكر قولا ثالثا . وهو أن معناه : « لا أحد أسرع حسابا منا » تفسير القرطبي (٢٩٤/١١) . وقال أبو حيان : « فيه توعد ، وهو إشارة إلى ضبط أعمالهم من الحساب ، وهو العد والإحصاء ، والمعنى : أنه لا يغيب عنا شيء من أعمالهم » . البحر المحيط (٣١٧/٦) . وهذا الذي يبدو أنه أرجح تلك الأقوال الكثيرة ، لأنه موافق لما جاء في اللغة ولسياق الكلام . والله أعلم .

(١) هو أبو عبد الله بن إسماعيل . صاحب الصحيح . جبل الحفظ . إمام الدنيا . توفي سنة ٢٥٦ هـ . تقريب (٢٩٠) .

(٢) انظر الحديث في صحيح البخاري (٤٠٠/١١ رقم ٦٥٣٩ ، ٤٢٣/١٣ ، ٤٧٤ رقم ٧٤٤٣ ، ٧٥١٢) .

وأخرجه أيضا مسلم في صحيحه (٦٠٧/٢ رقم ١٠١٦) .

(٣) هذا مبني علي قول الأشاعرة في مسألة كلام الله تعالى . لأنهم يرون أنه عبارة عن المعني القائم بذاته ، وهو صفة أزلية قديمة ، ليس بحرف ولا صوت ، وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر ... الخ .

راجع لمعرفة كلامهم شرح الفقه الأكبر (ص ٢٧) . والمواقف (ص ٢٩٤) .

(٤) هذا الكلام مبني علي قول المعتزلة في مسألة الكلام . فإنهم يرون أنه مخلوق خلقه الله تعالى منفصلا عنه ، وهو حرف وصوت ، وأنه سبحانه وتعالى كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة ، وكلم جبريل بكلام خلقه في الهواء . انظر شرح الأصول الخمسة (ص ٥٢٨) .

المراد من كونه تعالى محاسبا لخلقه » (١) .

ونقل عن ابن عباس أنّه لا حساب على الخلق ، بل يقفون بين يدي الله تعالى يعطون كتبهم بأيمانهم (٢) ، ويقال : « هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها . ثم يعطون حسناتهم ، ويقال : هذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم (٣) » . وهذا معارض بالأحاديث الصحيحة .

= وانظر أيضا مقالات الإسلاميين (ص ١٩١) .

وأما السلف فيرون أن كلام الله تعالى صفة له ، كسائر صفاته الأخرى . وهي صفة ذات وفعل ، يتكلم بها متى شاء ماشاء . وكيف وكلامه حروف وأصوات يسمعها من يشاء من عباده ، وليس كلامه وصوته ككلام المخلوقين وصوتهم .

راجع لمعرفة مذهب السلف في هذه المسألة : مجموع الفتاوى (١٢/٣٩ ، ٤٠) ، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ١٧٩ ومابعدها) .

وعلي مذهب السلف لا حاجة إلى ما ذكره الرازي في تفسير الحديث ، والغريب من المؤلف أنه نقل ذلك وسكت عنه .

(١) انظر كلام الرازي في تفسيره (٥/١٩٠) .

وقد نقله المؤلف باختصار وتصرف . وماقرره الرازي في تفسير الحديث : « مامنكم من أحد إلّا سيكلمه ربه .. » . فهو خطأ في خطأ . كما سبق بيانه . وماكان ينبغي للمؤلف أن يورده هنا دون تعقيب .

وقد ذكر السفاريني في لوامع الأنوار (٢/١٧٢) اختلاف العلماء في معنى محاسبته تعالى عباده ، فذكر في ذلك ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يعلمهم مالهم وما عليهم .

والثاني : أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم ... « وهو منقول عن ابن عباس » .

والثالث : أن يكلم الله تعالى عباده في شأن أعمالهم وكيفية مالها من الثواب ، وماعليها من العقاب . ولم يذكر التفصيل الذي ذكره الرازي .

(٢) في تفسير الرازي هنا زيادة . قوله : « فيها سيئاتهم » . وهو الأنسب .

(٣) هذا الأثر أورده الرازي في تفسيره (٥/١٩٠) ضمن القول الأول . =

روي الإمام مسلم أن النبي - ﷺ - قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمرة فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن عمله ما عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه »[١] .

وروى ابن المبارك [٢] ، وأبو داود [٣] ، والترمذي ، وحسّنه ،

= وأورده السفاريني كأحد الأقوال الثلاثة في معنى محاسبة الله تعالى عباده . لم يذكر الجملة الأولى : « لا حساب على الخلق » .

لم أجد من رواه . وهو كما قال المؤلف معارض للأحاديث الثابتة ، وهذا يكفي لضعفه ، وقد أثبت هنا في نسخة (م) تعليق حاول فيه المعلق دفع التعارض بينه وبين الأحاديث الصحيحة . ونصه :

« أقول : قال سيبويه : يكون لام التعريف للكمال . تقول زيدا الرجل الكامل في الرجولية ، فيمكن أن يقال إن لام التعريف في الخلق للكمال فيكون المعنى : لا حساب على الكامل في المخلوقية ، وهم الذين هداهم الله تعالى إلى سبيل الصواب فصرفوا أنفسهم إلي ماخلقت له وعملوا مايكون سببا بدخول الجنة بلا حساب فلا تعارض بين هذا القول وبين الأحاديث الصحيحة » .

والسياق يدل على خلافه .

(١) يبدو أن المؤلف وهم في عزو الحديث إلي مسلم ، فإني لم أجد من عزاه إليه ، كما أني لم أهتد إليه في صحيحه . وقد أخرجه الترمذي في سننه (٦١٢/٥ رقم ٢٤١٦) من حديث ابن مسعود ، وفيه « عن خمس » . كما أن فيه : « وماذا عمل فيما علم » . ورواه أيضا (برقم ٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي ، وله طرق أخرى . راجع للتفصيل سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٦٦٦/٢ رقم ٩٤٦) .

(٢) هو عبد الله بن المبارك المروزي . ثقة ، ثبت ، فقيه ، جمعت فيه خصال الخير ، توفي سنة ١٨١ هـ . تقريب (ص ١٨٧) .

(٣) هو سليمان بن الأشعث السجستاني . صاحب السنن ، ثقة ، حافظ ، توفي سنة ٢٧٥ هـ . تقريب (ص ١٣٢) .

والحاكم وصححه ، والنسائي [١] ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة . قال : « سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : إنّ أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، يقول الله لملائكته : انظروا إلى صلاة عبدي أتمها أم نقصها ؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان ينقص منها شيئا . قال الله : انظروا هل لعبدي من تطوع ، فإن كان له تطوع . قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » [٢] .

وفي النسائي عن ابن مسعود – رضي الله عنه – يرفعه : « أول ما يحاسب عليه العبد : صلاته ، وأول ما يقضي بين الناس في الدّما » [٣] .

قال الإمام الفخر في قوله تعالى : « ﴿ فلنسألنّ الذين أُرسل إليهم ولنسألنّ المرسلين ﴾ [٤] . هذه الآية تدل على أنه يحاسب عباده ، لأنهم لا يخرجون عن أن يكونوا مرسلين ، أو مرسلا إليهم ، ويبطل قول من زعم أنه لا خساب على الأنبياء – عليهم السلام – ولا الكفار » [٥] . انتهى .

---

(١) هو أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن . صاحب السنن . الحافظ . مات سنة ٣٠٣ هـ . تقريب (ص ١٣) .

(٢) الحديث في الزهد لابن المبارك (ص ٣٢٠ رقم ٩١٥) . وسنن أبي داود (٥٤٠/١ رقم ٨٦٤) . وسنن الترمذي (٢٦٩/٢ ، ٢٧٠ رقم ٤١٣) . وسنن النسائي (٢٣٢/١ ، ٢٣٣) . وسنن ابن ماجه (٤٥٨/١ رقم ١٤٢٥) . والمستدرك (٢٦٢/١) .
وهو صحيح . كما في صحيح الجامع الصغير (١٨٤/٢ رقم ٢٠١٦) .

(٣) الحديث في سنن النسائي (٨٣/٧) . في إسناده بعض من تكلم فيه ، ولكن له شواهد يبلغ بها درجة الصحة .
راجع للتفصيل : « سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٢٨/٤ ، ٣٢٩ رقم ١٧٤٨) .

(٤) سورة الأعراف الآية ٦ .

(٥) انظر تفسير الرازي (٢٤/١٤) .

ويمكن الجواب . وهو : أن يقال : « لا حساب على الأنبياء حساب مناقشة [١] ، قال النسفي – في بحر الكلام –: « الأنبياء لا حساب عليهم ، وكذلك أطفال المؤمنين ، والعشرة المبشرة بالجنة ، هذا في حساب المناقشة [٢] ، أما حساب العرض ، فلا . وهو أن يقال : فعلت كذا ، وعفوت عنك ، وحساب المناقشة لم فعلت كذا » .

روي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله – ﷺ –: « من نوقش الحساب عذب ، فقلت : أليس الله يقول : ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾[٣] . قال : « ليس ذلك الحساب ، ولكن ذاك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب [٤] . قلت : وعلى هذا يحمل كل حديث ورد في حق من يدخل الجنة بغير حساب » فمن ذلك حديث البزار : « من ابتلي ببصره فصبر حتى يلقى الله ، لقي الله ولا حساب عليه » [٥] . وحديث جابر : « من مات في طريق مكة

---

(١) وبهذا أجاب السفاريني أيضا . انظر لوامع الأنوار (١٧٥/٢) .

(٢) إلى هنا أورده السفاريني في لوامع الأنوار (١٧٥/٢) . نقلا عن بحر الكلام .

(٣) سورة الانشقاق الآية ٨ .

(٤) الحديث في صحيح البخاري (٩٧/١) رقم ١٠٣ ، ٦٩٧/٨ رقم ٤٩٣٩ ، ٤٠٠/١١ رقم ٦٥٣٦ ، ٦٥٣٧) .
وصحيح مسلم (٢٢٠٤/٤ ، ٢٢٠٥ رقم ٢٨٧٦) .

(٥) أخرجه البزار من حديث زيد بن أرقم في أوله زيادة قوله : « ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من ذهاب بصره ... » . ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١٦/١٠) . وقال : « أصله عند أحمد بغير لفظه بسند جيد . وللطبراني من حديث ابن عمر بلفظ : « من أذهب الله بصره ... فذكر نحوه » . ووردت عدة أحاديث في فضل الصبر على ذهاب البصر . راجع للتفصيل : « الزهد لهناد (٢٢٩/١ رقم ٣٨٠) مع تعليق المحقق) » .

ذاهبا أو راجعا لم يعرض ولم يحاسب » [١] وحديث أبي أيوب الأنصاري : « طالب العلم ، والمرأة المطيعة لزوجها ، والولد البار بوالديه يدخلون الجنة بغير حساب » [٢] . وحديث عائشة : « من ربى صبيا حتى يقول : لا إله إلّا الله لم يحاسبه الله » [٣] إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرتها في بهجة الناظرين ، وآيات المستدلين [٤] . والله سبحانه أعلم .

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣٣٦/١) . ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (٢١٧/٢) من حديث جابر . قال فيه ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح ، والمتهم به إسحاق بن بشر . وقد كذبه ابن أبي شيبة وغيره . وقال الدارقطني : « هو في عداد من يضع الحديث » . وروى هذا الحديث عن عائشة . أخرجه ابن عدي في الكامل (١٩٩٢/٥) . وهو منكر . فيه عائذ من نُسَيْر . ضعفه يحيى بن معين . قال الذهبي : « سرد له ابن عدي مناكير . منها » ... ثم ذكر هذا الحديث . ميزان الاعتدال (٣٦٣/٢) .

(٢) لم أهتد إلى من رواه .

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل (١١٤٥/٣) . ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات (١٧٨/٢) . وقال ابن الجوزي : « لا يصح » . وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٤٥/١ – ١٤٧ رقم ١١٤) . وحكم عليه بأنه موضوع .

(٤) انظر (ق ١٥٥ / ب) « فصل فيمن يدخل الجنة بغير حساب » . ويلاحظ أن المؤلف أوردها هنا من الأحاديث ماهو ضعيف أو موضوع . مع أنه توجد أحاديث أخرى صحيحة ورد فيها دخول جماعة من الناس في الجنة بغير حساب . منها : مارواه البخاري في صحيحه : (٤٠٦/١١ رقم ٦٥٤٢) ومسلم في صحيحه : (١٩٧/١ – ١٩٨ رقم ٢١٦) . من حديث أبي هريرة مرفوعا : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب ... الحديث » . وهو مروي من حديث غيره . والمؤلف أورد هذا الحديث وغيره مما ورد فيه دخول جماعة في الجنة بغير حساب في : بهجة الناظرين ، ولكن دخولهم بغير حساب لا يعني أن لا ينصب لهم ميزان . كما تقدم .

خاتمـــــة :

وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بسرعة حساب الخلائق مع كثرة عددهم ، وكثرة أعمالهم . فقال : ﴿ إن الله سريع الحساب ﴾ [(١)] ، ليدل على كمال قدرته ، ووجوب الحذر منه . روى : أنه تعالى يحاسب الخلائق فى قدر حلب شاة ، وروى في مقدار فواق ناقة ، وروى في مقدار لمحة . كذا حكا الزمخشرى في تفسيره [(٢)] ، والله تعالى على ما يشاء قدير . قال الحسن : « حسابه أسرع من لمح البصر . حكاه الثعلبى عنه [(٣)] . وقال ابن عطية : « قيل لعلى بن أبى طالب : كيف يحاسب الله الخلائق يوم القيامة ؟. فقال : كما يرزقهم [(٤)] في يوم » وفي الحديث : « لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار » [(٥)] . وقد قيل : « إنه سبحانه إذا حاسب واحدا فقد حاسب جميع الخلائق » [(٦)] .

---

(١) هو جزء من آيات عديدة – آل عمران – الآية ١٩ ، ١٩٩ ، المائدة الآية ٤ ، إبراهيم الآية ٥١ . سورة غافر الآية ١٧ .

(٢) الكشاف (١/١٢٥) . والرواية الأولى أوردها الثعلبي في الكشف والبيان (٢/٥٧/ب) . والرازي في تفسيره (٥/١٩١) ولم أجد من رواها مسندة .

(٣) في تفسيره الكشف والبيان (٢/٥٧/ب نسخة المحمودية) .

(٤) انظر المحرر الوجيز (٢/١٣٢) . وفيه : « يوم » بدل « يوم القيامة » . وأورده القرطبي في التذكرة (ص ٢٧٢) بنحوه . وفيه : « كما يرزقهم » .

(٥) أورده القرطبي في التذكرة (ص ٣٦٠) . وقال : « ذكره ابن عزير في غريب القرآن له » . ولم أهتد إلى من رواه بهذا اللفظ ، وهو عند ابن المبارك في الزهد (ص ٤٦٣ رقم ١٣١٣) ، والحاكم في مستدركه (٢/٤٠٢) عن عبد الله بن مسعود موقوفا : « لا ينتصف النهار من ذلك اليوم حتى يقيل هؤلاء في الجنة . وهؤلاء في النار ... » . قال الحاكم : « صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي » .

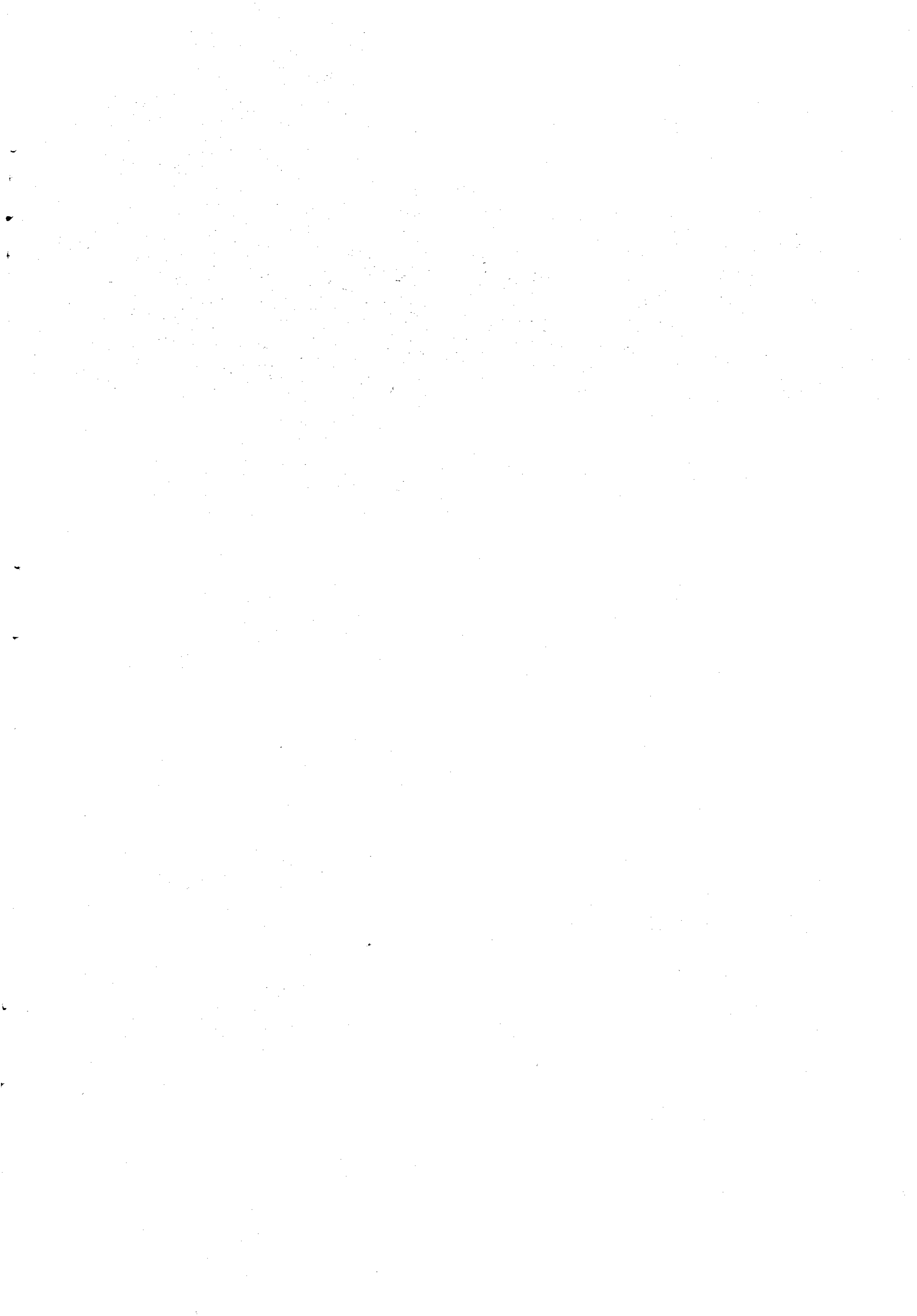
(٦) قال ابن كثير في تفسيره (٤/٧٥) عند قوله تعالى : ﴿ إن الله =

قال بعض العارفين من غريب حكم الآخرة : « أن الرجل يؤتى به إلى الله فيوقفه وتوزن حسناته ، وسيئاته . وهو يظن أن الله تعالى ما حاسب أحدا سواه . وقد حوسب فى تلك اللحظة آلاف ألوف ، وما لا يمكن حصره [(١)] . قلت : « ولعل السرّ في هذا وتقريبه للعقول ، أن معنى الحساب ما قال المفسرون : هو تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم ما قد نسوه . وهذا قريب للعقل جدا بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية مقادير أعمالهم من الثواب والعقاب في لحظة واحدة . فتأمل والكلام على هذه الآية الشريفة ، مما يطول ، وفيما ذكرناه من هذه الألفاظ القليلة موعظة للمتعظين ، وتبصرة للعارفين ، جعلنا الله تعالى منهم . آمين آمين . والحمد لله رب العالمين .

* * *

= سريع الحساب ﴾ . سورة غافر الآية ١٧ : أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة . كما قال جلّ وعلا : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلّا كنفس واحدة ﴾ . سورة لقمان الآية ٢٨ . وقال جلّ جلاله : ﴿ وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر ﴾ . سورة القمر الآية ٥ .

(١) لم أهتد إلى معرفة هذا العارف .



فهرس الآيـــات

* * *

أولا – فهرس الأحايث

الحديث	الصفحة

ثانيا – فهرس الآثـــار

ثالثا – فهرس الأعـــلام

رابعـــا - فهرس المصـــادر

الارشـــاد

الجويني عبد الملك بن عبد الله . تحقيق أسعد تميم . مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت .

اعراب القـــرآن

النحاس أبو جعفر (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق د - زهير غازي مطبعة العالي ببغداد .

الأعـــــلام

للزركلي . خير الدين . دار العلم للملايين . بيروت . ط (٦) عام ١٩٨٤ م .

أقاويل الثقـــات

لمرعي بن يوسف . تحقيق جميل عبيد القرارعة . رسالة ماجستير جامعة أم القرى . عام ١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ .

البحر المحيـــط

أبو حيان : محمد بن يوسف الأندلسى (٧٥٤ هـ) دار الفكر بيروت ط ٢ ١٣٩٨ هـ

بهجة الناظرين وآيات المستدلين

مرعي بن يوسف المقدسي . نسخة مصورة من نسخة تونس بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية (رقم ٤٣٤٥)

التذكرة في أحوال الموتي وأمور الآخرة .

القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد . تحقيق د / أحمد حجازى السقاء . دار الكتب العلمية . بيروت .

التفسير الكبيـــر :

الرازى : فخر الدين محمد بن عمر . دار إحياء التراث العربي بيروت . ط (٣) .

تقريب التهذيـــب

العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر . دار نشر الكتب الاسلامية باكستان .

تهذيب اللغـــة

الأزهرى : محمد بن أحمد . تحقيق / عبد السلام محمد هارون . المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة . مصر ١٣٨٤ هـ .

جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى)

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير . دار الفكر . بيروت . ط ١٤٠٥ هـ .

الجامع الصحيح (مع فتح البارى)

البخارى : محمد بن اسماعيل . تحقيق / عبد العزيز بن باز .

نشر دار الافتاء . الرياض .

الجامع الصحيـــح

مسلم بن الحجاج النيسابورى . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . بيروت .

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)

القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد . ط احياء التراث العربي . بيروت .

الجامع لشعب الايمان

البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين (ت : ٤٥٨) . مصورة مكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية برقم ٣١٦ – ٣٢١ .

الجرح والتعديـــل

الرازى : أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم . مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند .

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر

المحي محمد أمين الدمشقي . المطبعة الوصية . القاهرة . ١٢٨٤ .

الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة :

الغزالي . تحقيق / محمد عبد القادر عطا . مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت . ط ١ . عام ١٤٠٧ هـ .

الدر المنثور في التفسير بالمأثور

السيوطي . جلال الدين عبد الرحمن . دار المعرفة . بيروت .

الديباج المذهـــــب

ابن فرحون ابراهيم بن علي المالكي . تحقيق / د . محمد الأحمدى أبو النور . دار الفرات . القاهرة .

ديوان مسكين الدارمــــي

ربيعة بن عامر . تحقيق / عبد الله الحيدرى . خليل العطية . مطبعة دار البصرى . بغداد . ١٣٨٩ هـ

روح المعانــــي

الآلوسي

احياء التراث العربي . بيروت .

زاد المسيــــــر

ابن الجوزى . المكتب الاسلامي .

الزهـــــــــد

ابن المبارك . عبد الله المروزى . تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي دار الكتب العلمية . بيروت .

الزهـــــــــد

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . دار الكتب العلمية . بيروت .

الزهـــــــــد

هناد بن السرى . تحقيق / عبد الرحمن الفريواني . دار الخلفاء للكتاب الاسلامي . الكويت .

سلسلة الأحاديث الصحيحة

الألباني : محمد ناصر الدين

سلسلة الأحاديث الضعيفة
الألباني : محمد ناصر الدين
السـنن
أبو داود : سليمان بن الأشعث . تحقيق / عزت الدعاس . عادل السيد . دار الكتب العلمية . بيروت .
السـنن
النسائي : أحمد بن شعيب بن علي . المطبعة المصرية . الأزهر .
السـنن
الترمذى : محمد بن عيسى . تحقيق / أحمد شاكر . ابراهيم عطوة . المكتبة الاسلامية . بيروت .
السـنن
ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر . بيروت .
سير أعلام النبـلاء
الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى .
شذرات الذهـب
ابن العماد أبو الفلاح عبد الحتى الحنبلي . دار المسيرة . بيروت .
شرح الأصول الخمسـة
القاضي عبد الجبار بن أحمد . تحقيق / د . عبد الكريم عثمان . مكتبة وهبة بمصر . ط (١) سنة ١٣٨٤ هـ .
شرح العقيدة الطحاوية
تخريج وتعليق الألباني . المكتب الاسلامي . دمشق . ط (٤) ١٣٩١ .
شرح الفقه الأكبـر
الملاعلى القارى . دار الكتب العلمية . بيروت .

الشرح والابانـــــة
ابن بطة : عبيد الله بن محمد . تحقيق : رضا بن نعسان . المكتبة الفيصلية . مكة .

الشريعـــــــــة
الآجرى : محمد بن الحسين . تحقيق : محمد حامد الفقي . نشر حديث أكادمي . باكستان .

الصحـــــــاح
الجوهرى . اسماعيل بن حماد . تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار . ط (٢) . ١٤٠٢ هـ .

صحيح الجامع الصغيـــر
الألباني : محمد ناصر الدين . المكتب الاسلامي . بيروت . ط (٢) ١٣٩٩ هـ .

عنوان المجد في تاريخ نجد
ابن بشر النجدى عثمان بن عبد الله . مطابع القصيم . الرياض . ط (٣) . عام ١٣٨٥ هـ .

غاية النهاية في طبقات القراء
ابن الجزرى : محمد بن محمد أبو الخير . بعناية ج برجستراسر . دار الكتب العلمية . بيروت .

فتح البارى شرح صحيح البخارى
العسقلاني : أحمد بن على بن حجر . تحقيق / عبد العزيز بن باز . نشر دار الافتاء . الرياض .

فتح القديـــــر
الشوكانى
مصطفى الحلبي . مصر

الفتوحـات الالهيـة
الجمل
الكامـل
ابن عدى : أبو أحمد عبد الله الجرجاني . دار الفكر العربي . بيروت ط (١) ١٤٠٤ هـ .
الكشـاف
الزمخشرى : جار الله محمود بن عمر . دار المعرفة . بيروت .
كشف الأستار عن زوائد البزار
الهيثمي . نور الدين علي بن أبي بكر . تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي . مؤسسة الرسالة . بيروت .
الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها .
مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق د . محي الدين رمضان مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٣٩٤ هـ
الكشف والبيان
الثعلبي :
نسخة مصورة عن نسخة المحمودية بمكتبة المخطوطات في الجامعة الاسلامية برقم ٢٧٤٧ ، ٢٧٤٩ . ومصورة عن نسخة المولوية بحلب برقم ٢٤٦٢ .
لسان العرب
ابن منظور : محمد بن مكرم المصرى . دار صادر . بيروت .
لوامع الأنوار البهية
السفاريني : محمد بن أحمد الحنبلي . مطبعة المدني . القاهرة .
متشابه القـرآن
القاضي عبد الجبار / تحقيق عدنان زرزور . دار التراث . بيروت .
مجلة أضواء الشريعـة
العدد السادس .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر . دار الكتاب العربي . بيروت .

مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية

جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم العاصمي . توزيع دار الافتاء . الرياض .

المحرر الوجيـــز

ابن عطية الأندلسي : أبو محمد عبد الحق بن غالب . ط وزارة الأوقاف المغربية . الرباط .

المستدرك على الصحيحين

الحاكم : محمد بن عبد الله النيسابوري . وفي ذيله تلخيص المستدرك . طبعة مصورة عن دائرة المعراف العثمانية . حيدرآباد .

المسنـــــــد

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . المكتب الاسلامي .

مشكل اعراب القـــرآن

مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق : ياسين محمد السواس ، مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٩٤ هـ .

معالم التنزيل (تفسير البغوى)

البغوى : الحسين بن مسعود الفراء . تحقيق / خالد العلاء ، مروان نوار . دار المعرفة . بيروت . ط (١) ١٤٠٦ هـ .

معاني القرآن واعرابه

أبو إسحاق الزجاج . تحقيق / عبد الجليل شلبي . عالم الكتب . بيروت .

معانـــي القـــرآن
الفراء : أبو زكرياء يحي بن زياد (٢٠٧) هـ عالم الكتب بيروت ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ .
معجم المؤلفين
لعمر رضا كحالة . مكتبة المثنى . دار إحياء التراث العربي . بيروت .
المفردات في غريب القرآن .
الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد . اعداد / محمد أحمد خلف الله . مكتبة الأنجلو المصرية .
مقالات الاسلاميـــين
أبو الحسن الأشعرى علي بن اسماعيل . تصحيح : هلموت رثر . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ط (٣) .
المواقف في علم الكلام
الايجي : عبد الرحمن بن محمد . عالم الكتب . بيروت .
الموضوعـــــات
ابن الجوزى : عبد الرحمن بن علي . تحقيق / عبد الرحمن محمد عثمان . المكتبة السلفية . المدينة . ط (١) ١٣٨٦ هـ .
النعت الأكمل لأصحاب الامام أحمد بن حنبل
لمحمد بن كمال الدين بن محمد الغزى (ت : ١٢١٤ هـ) . تحقيق / محمد مطيع الحافظ ، نزار أباظة . دار الفكر . دمشق . عام ١٤٠٢ هـ .
النهاية (الفتـــن والملاحم)
ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل (ابن كثير) . تحقيق / محمد أحمد عبدالعزيز . دار التراث الاسلامي . الأزهر .

* * *

فهرس الموضوعـــات

الموضوعـــات

القسم الأول : الدراسة

* * *

رقم الإيداع : ٨٩/٣٩٣٤

